حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

د. أحمد بن عمر الزيلعي
قسم التاريخ - جامعة الملك سعود

المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي
(ق ٣-٩ هـ/٩-١٥ م)

الرسالة التاسعة والثلاثون

الحولية السابعة
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

مجلس التحرير

د. خلدون حسن النقيب — رئيس مجلس التحرير

هيئة التحرير:
- د. عبدالمحسن مدعج المدعج — رئيس هيئة التحرير
- ا. د. فؤاد حسن زكريا
- د. منصور أحمد بونهمسين
- د. محمد سليمان الحداد
- د. محمد رجا الدريني
- ا. د. سعد عبدالرحمن
- ا. د. احمد علي اسماعيل
- د. توفيق الفيل

ثمن الرسالة

الكويت ٤٠٠ فلس ـ البحرين نصف دينار ـ قطر ٥ ريالات ـ الامارات ٥ دراهم ـ السعودية ٥ ريالات ـ عمان نصف ريال ـ اليمن الجنوبي ٢٠٠ فلس ـ اليمن الشمالي ٣ ريالات ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ ج . م . ع . ٢٥ قرشا ـ لبنان ٥ ليرات ـ الأردن ٢٥٠ فلس ـ سوريا ٥ ليرات ـ السودان ٢٥٠ مليما ـ ليبيا ٤٠ قرشا ـ الجزائر ٥ دنانير ـ تونس ٤٠٠ مليم ـ المغرب ٥ دراهم .

الاشتراك السنوي لعدد (٨) رسائل

للأفراد ثلاثة دنانير كويتية ومائتا فلس في الكويت ـ أربعة دنانير في الوطن العربي اثنان وثلاثون دولاراً أمريكياً في الخارج بالبريد الجوي .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ستة عشر ديناراً كويتياً ـ في الخارج أربع وستون دولاراً أمريكياً .

لأعضاء هيئة التدريس والطلاب خصم ٥٠ ٪

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر أو أية إستفسارات أخرى بشأن الحوليات توجه الى رئيس هيئة تحرير الحوليات ـ ص . ب : ١٧٣٧٠ الخالدية ـ الكويت : 72454

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب . جامعة الكويت

دورية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكلية الآداب

الحولية السابعة — الرسالة التاسعة والثلاثون

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

صدر من هذه الحوليات

الحولية الأولى لعام ١٩٨٠ :

الرسالة الأولى	: الجذور الفلسفية للبنائية	د. فؤاد زكريا
الرسالة الثانية	: صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا	د. محمد عيسى صالحية
الرسالة الثالثة	: ابن قلاقس، حياته وشعره	د. سهام الفريح
الرسالة الرابعة	: الأمير تنكز الحسامي	د. حياة ناصر الحلجي
الرسالة الخامسة	: التدرج الطبقي الاجتماعي في بعض الأقطار العربية (باللغة الانجليزية)	د. خلدون حسن النقيب

الحولية الثانية لعام ١٩٨١ :

الرسالة السادسة	: علي أحمد باكثير	د. محمد عبده
الرسالة السابعة	: تحليل اخطاء الطلبة العرب في استعمال أدوات التعريف والتنكير الانجليزية (باللغة الانجليزية)	د. نايف خرما
الرسالة الثامنة	: دولة المماليك ودولة مغول القفحاق	د. حياة ناصر الحجي
الرسالة التاسعة	: المرأة والفلسفة	د. محمود رجب

الحولية الثالثة لعام ١٩٨٢ :

الرسالة العاشرة	: الروابط العائلية القرابية في مجتمع الكويت المعاصر	د. فهد ثاقب الثاقب
الرسالة الحادية عشرة	: البيئة والسلوك	د. طلعت منصور
الرسالة الثانية عشرة	: عالمية الحضارة الاسلامية ومظاهرها في الفنون	د. صلاح الدين البحيري
الرسالة الثالثة عشرة	: لورنس ومحفوظ، دراسة أدبية سيكلوجية، مقارنة	د. محمد رجاء الدريني
الرسالة الرابعة عشرة	: آل قدامة والصالحية	د. شاكر مصطفى

الحولية الرابعة لعام ١٩٨٣ :

الرسالة الخامسة عشرة	: أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية	د. عبدالعال سالم مكرم
الرسالة السادسة عشرة	: مفهوم التفسير في العلم من زاوية منطقية	د. عزمي موسى اسلام
الرسالة السابعة عشرة	: العمل الاجتماعي في المجال التربوي	د. جلال الدين الغزاوي
الرسالة الثامنة عشرة	: وحدة ميتافيزيقيا أرسطو ومنزلة الرياضيات فيها	د. أبو يعرب المرزوقي
الرسالة التاسعة عشرة	: مفهوم التهكم عند كير كجور	د. امام عبدالفتاح

الحولية الخامسة لعام ١٩٨٤ :

الرسالة العشرون	: «نظرة في قرينة الاعراب» في الدراسات النحوية القديمة والحديثة	د. محمد صلاح الدين بكر
الرسالة الحادية والعشرون	: الاخرويات الاسلامية في الكوميديا الالهية (باللغة الانجليزية)	د. رشا حمود الصباح
الرسالة الثانية والعشرون	: تسع وثائق في شئون الحسبة على المساجد في الأندلس	د. محمد عبدالوهاب خلاف
الرسالة الثالثة والعشرون	: مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية	د. أحمد عبدالرحيم مصطفى
الرسالة الرابعة والعشرون	: مفاهيم العلاج النفسي وانماط التفاعل داخل الأسر المريضة (النشأة والتطور)	د. حامد عبدالعزيز الفقي

الحولية السادسة لعام ١٩٨٥ :

الرسالة الخامسة والعشرون: نحاة القيروان — د. يوسف أحمد المطوع

الرسالة السادسة والعشرون: من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية — د. محمد عيسى صالحية

الرسالة السابعة والعشرون: الفصاحة: مفهومها وبم تتحقق. قيمها الجمالية — د. توفيق علي الفيل

الرسالة الثامنة والعشرون: مشكلة التأويل العقلي عند مفكري الاسلام في المشرق العربي وخاصة عند ابن سينا — الاستاذ / سعيد زايد

الرسالة التاسعة والعشرون: واقع التاريخ في رواية وجوب العنف (باللغة الانجليزية) — د. رشا حمود الصباح

الرسالة الثلاثون: مكانة رواية روبنسون كروزو في القصص اللايوطوبي (باللغة الانجليزية) — د. محمد رجا الدريني

الرسالة الحادية والثلاثون: مفهوم المعنى «دراسة تحليلية» — **د. عزمي موسى اسلام**

الرسالة الثانية والثلاثون: الوصايا ومدى تطورها في العصر العباسي الأول — د. سهام الفريح

الحولية السابعة لعام ١٩٨٦ :

الرسالة الثالثة والثلاثون: بردة البوصيري قراءة أدبية وفلكورية — د. محمد رجب النجار

الرسالة الرابعة والثلاثون: الارشاد النفسي تطور مفهومه وتميزه — د. عبدالله محمود سليمان

الرسالة الخامسة والثلاثون: اتجاهات الآباء والامهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات — عبدالفتاح القرشي

الرسالة السادسة والثلاثون: علم العمران الخلدوني وعلم الاجتماع الحديث (باللغة الانجليزية) — د. فؤاد البغلي

الرسالة السابعة والثلاثون: قبلية تميم العربية بين الجاهلية والاسلام — د. عبدالجبار العبيدي

الرسالة الثامنة والثلاثون: عيوب الكلام، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب — د. وسمية المنصور

الرسالة التاسعة والثلاثون

المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي

(ق ٣-٩هـ/٩-١٥م)

د. أحمد بن عمر الزيلعي

قسم التاريخ - جامعة الملك سعود

حوليات كلية الاداب - الحولية السابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

المؤلف:

أحمد بن عمر الزيلعي..

* أستاذ مساعد بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
* حصل على درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من قسم التاريخ - جامعة الرياض، عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ودرجة الدكتوراة من جامعة درهام - انجلترا - في التاريخ الاسلامي والآثار والكتابات الاسلامية عام ١٩٨٤م.

* له من الاعمال المنشورة:

١ - مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ - ٤٨٧)، منشورات جامعة الرياض - المملكة العربية السعودية، عام ١٤٠١/١٩٨١م

٢ - السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة (تحقيق ودراسة وترجمة) بالاشتراك مع الدكتور ركس سميث، منشورات جامعة درهام - انجلترا - عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣ - «حاكم السّرّين، راجح بن قتادة ودوره في العلاقات المصرية اليمنية في مكة»، المجلد الأول، الجزء الأول، دار المريخ للنشر، لندن، جمادي الأولى ١٤٠٦هـ/ يناير ١٩٨٦م.

محتوى البحث

أ / الموضوعات: الصفحة

ملخص البحث ٩
حلي في المصادر العربية ١١
مدينة حلي ابن يعقوب ١٦
موقع مدينة حلي ابن يعقوب ١٩
المسح الأثري لمدينة حلي ابن يعقوب وضواحيها ٢٣
ميناء أو مرسى حلي ٢٨
القوز (قرية الشيخ علي) ٣٣
أهمية قوز الشاهد التاريخيه ٣٦
تحصينات خريّان ٤٠
جزيرة جبل الصبايا ٤٤
الهوامش والتعليقات ٥٢
المصادر والمراجع ٦٠

ب/ الخرائط والرسومات المساحية:ـ

شكل (١) المواقع الاسلامية في وادي حلي ١٥
شكل (٢) موقع مدينة حلي قديم (ابن يعقوب) ٢٢
شكل (٣) موقع قرية بدرة ٢٧
شكل (٤) موقع الرديني أو عازب (ميناء حلي) ٣٢
شكل (٥) تحصينات خريّان ٤٣
شكل (٦) الحي السكني في جزيرة جبل الصبايا ٥١

الصفحة

جـ/ اللوحات التوضيحية :ـ

لوحة (١) حقول الذرة في وادي حلي ٦٨
لوحة (٢) موجودات الحي السكني القديم (مدينة حلي ابن يعقوب). . ٦٨
لوحة (٣) مركز خفر السواحل بالكدوف ٦٩
لوحة (٤) عملات قديمة عثر عليها في موقع ميناء حلي. ٦٩
لوحة (٥) بقايا البناء في موقع الرديني أو عازب ٧٠
لوحة (٦) وادي حلي أثناء الري ٧٠
لوحة (٧) بقايا أحد الابراج في تحصينات خريّان ٧١
لوحة (٨) جانب من أحد جدران تحصينات خريّان ٧١
لوحة (٩أ) منظر عام لجزيرة جبل الصبايا ٧٢
لوحة (٩ب) منظر بالقرب من مرسى جزيرة جبل الصبايا ٧٢
لوحة (١٠أ) منظر يمثل البئر الوحيدة في جزيرة جبل الصبايا ٧٣
لوحة (١٠ب) آثار الارشية في صخور البئر المذكورة ٧٣
لوحة (١١أ) تل سكني في جزيرة جبل الصبايا ٧٤
لوحة (١١ب) مخلفات فخارية وزجاجية من جزيرة جبل الصبايا . . . ٧٤
لوحة (١٢) بقايا أبنية من الجزيرة نفسها ٧٥
لوحة (١٣) صورة للعشة، البناء الوحيد في الجزيرة. ٧٥
لوحة (١٤أ) منظر لأحد الكهوف بالجزيرة ٧٦
لوحة (١٤ب) منظر آخر لأحد الكهوف بالجزيرة ٧٦
لوحة (١٥) منظر لاحدى مقابر الجزيرة ٧٧

ملخص البحث

تحتوي تهامة أو الشريط الساحلي للبحر الأحمر على عدد كبير من المواقع الاسلامية الغنية بمخلفاتها الأثرية، وتراثها الحضاري، ومن هذه المواقع تلك التي كانت تقوم على ضفاف وادي حلي، وفي دلتاه الخصبة. فقد عرف حلي في المصادر العربية الميسورة منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي على أساس أنه محطة، أو أكثر من المحطات التي تقع على طرق الحج اليمنية إلى مكة المكرمة. ويقصد بحلي في تلك الفترة الوادي أو الاقليم، ولكن منذ النصف الثاني للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ظهر في هذه المصادر ذكر مدينة حلي ابن يعقوب التي يعتقد بأنها كانت العاصمة المركزية للوادي أو للاقليم بأسره، وقد نسبت هكذا إلى ابن يعقوب، ولعله كان من أجداد الأسرة الحاكمة بها، أو من الشخصيات البارزة التي لعبت دورا كبيرا في حياة المدينة.

ويعتبر هذا البحث محاولة متواضعة لتحقيق موقع مدينة حلي ابن يعقوب، وذلك بالاستدلال عليه من الاشارات القليلة التي وردت في المصادر العربية الميسورة، وبعض كتب الرحلات الحديثة، ثم القيام بزيارة ميدانية إلى أطلال المدينة المذكورة، حيث ساعدت هذه الزيارة على تحديد موقعها على الطبيعة ومن ثم تقديم وصف دقيق لهذا الموقع، وما يحتويه من مخلفات أثرية.

ويشمل البحث أيضا مواقع اسلامية أخرى، اشتهرت بجانب مدينة حلي ابن يعقوب خلال هذه الفترة ومنها: ميناء حلي الذي كان يعرف فيما مضى باسم عازب، ويعرف في الوقت الحاضر باسم الرديني نسبة إلى شخص مات ودفن به، وغلب اسمه على هذا الموقع فيما بعد، وقوز الشاهد الذي كان مقر أسرة بني الطواشي العريقة، ويقع في منطقة نفوذ بني حرام، حكام حلي. وإلى الشرق منه بقليل موقع خريّان، وبه أكبر وأقوى الأماكن الحصينة في وادي حلي التي لاتزال معالمها واضحة حتى اليوم. وأخيرا جزيرة جبل الصبايا، وهي تتبع وادي حلي في الماضي والحاضر، وبها بعض المواقع الاسلامية المندثرة والمقابر المهجورة.

وقد أمكن القيام بزيارة ميدانية غطت جميع المواقع الاسلامية الحلوية التي يشملها هذا البحث، حيث تم إجراء مسح أثري لهذه المواقع شمل تحديد أمكنتها، وتحقيق معالمها الأثرية، وتقديم وصف دقيق لها، مدعما بعدد من الخرائط والصور التوضيحية.

حَلِي في المصادر العربية

تطلق كلمة حلي على وادي حلي المشهور قديما وحديثا باتساعه، وخصوبة أرضه[1]. وهو يقع في تهامة التي تعرف جغرافيا في العصر الحاضر باسم «تهامة الشام»، تمييزا لها عن تهامة الجنوب، أو تهامة عسير التي تمتد من مدينة البِرْك شمالا حتى حدود المملكة العربية السعودية مع اليمن جنوبا[2]. كما تطلق هذه الكلمة على مدينة حلي المعروفة في المصادر العربية باسم «حلي ابن يعقوب» التي يعتقد بأنها كانت العاصمة المركزية للوادي. وتطلق أيضا على اقليم حلي بأسره، استدلالا بقول الهمداني (ت٣٤٤/٩٥٥)، بأن «حلي مخلاف»[3]. وكلمة مخلاف، اصطلاح جغرافي يستخدمه أهل اليمن للدلالة على الاقليم[4]. وهو يحمل نفس المعنى الذي تؤديه كلمة الأجناد عند أهل الشام، والكور عند أهل العراق[5].

يحتوي وادي حلي على عدد من المواقع الاسلامية الهامة، بجانب مدينته المشهورة التي سبقت الاشارة إليها[6]. وقد عاشت هذه المواقع وازدهرت طوال العصور الاسلامية، دون أن تحظى باهتمام المؤرخين والجغرافيين العرب، باستثناء بعض الاشارات البسيطة المتعلقة بذكر موقع حلي على طريق الحج اليمني، والمسافات بينها وبين مكة أو المواقع الاسلامية الأخرى القريبة منها.

ويعتبر كتّاب القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، أول من تعرض لذكر حلي. ويأتي في مقدمة هؤلاء الحربي (ت٢٨٥/٨٩٨) عند ذكره لطريق حاج تهامة (أي تهامة اليمن)، حيث يقول «ومن جازان إلى بَيْش، ومن بيش إلى عَثْر [أو عَثَّر]، ومن عثر إلى ضَنْكان، ومن ضنكان إلى حلي، ومن حلي إلى بَيْض، ومن بيض إلى وادي المُقْل، ومن وادي المقل إلى دَوْقَة»[7]. ويبدو التشويش في هذا النص واضحا، إذ أن وادي بيض ووادي المقل يقعان إلى الجنوب من حلي بمسافة كبيرة[8]. غير أن أحد نساخ كتاب الحربي عمل على تدارك هذا التشويش، وقام بتصحيحه من كتاب السلوك للجندي، وأورده محقق كتاب الحربي، حمد الجاسر، بعنوان: «ومن طريق

تهامة خبر في الحاشية». وهو حديث أبي سعيد الفضل بن محمد الجندي، وفيه يقول: «أن من أراد طريق زَبِيْد أخذ من مكة إلى أَدَام، ومن أدام إلى مَرْكُوب، ومن مركوب إلى اللَّيْث، ومن الليث إلى عُلَيْب، ثم القَرْمَا، ثم قَنُوْنَا، ثم إلى حلي، ثم إلى المَعْقَد، ثم إلى ضنكان، ثم إلى زُنيف، ثم إلى بيض...»[٩]. ولا ريب أن هذا الترتيب في مراحل طريق الحج على درجة كبيرة من الصحة، لأن الجندي من أهالي اليمن الذين كانوا يسلكون هذا الطريق مرارا في حجهم إلى مكة المكرمة.

ويأتي بعد الحربي في الاشارة إلى حلي، ابن خرداذبه (ت٣٠٠/ ٩١٢)، حيث يوردها في موضعين: الأول على الطريق العماني الساحلي إلى مكة المكرمة مرورا بعدن وزبيد، وغيرهما من المواقع التهامية، ثم يستأنف الحديث عن هذا الطريق إلى «مخلاف حَكَم، ثم إلى عثر، ثم إلى مرسى ضنكان، ثم إلى مرسى حلي، ثم إلى السِّرِّين»[١٠]. أما الموضع الثاني الذي ترد فيه حلي عند ابن خرداذبه، فهو على الطريق من خولان ذي سحيم إلى مكة المكرمة، حيث يذكر أن هذا الطريق يأخذ «إلى وادي ضنكان، ثم إلى حلي..... ثم إلى قنونا»[١١]. ولعل هذا الطريق الأخير هو المعروف باسم «الجادة السلطانية»[١٢]، أما الأول فهو الطريق الساحلي، وهما يشكلان مع الطريق العليا، أهم الطرق اليمنية المشهورة التي يسلكها الحجاج والتجار في طريقهم إلى مكة المكرمة مرورا بحلي[١٣].

أما قدامة بن جعفر (ت٣٢٠/٩٣٢)، فيبدو أنه ينقل عن ابن خرداذبة، حيث يورد ذكر حلي أيضا في موضعين: أحدهما، على الطريق العماني الساحلي، والآخر، على الطريق من مخلاف خولان إلى مكة المكرمة[١٤]. ولكنه كان أكثر تفصيلا وإدراكا من سابقه، عندما يلخص ما ذهب إليه بقوله «فمن أراد طريق الجادة، أخذ من عثر إلى العرش، ثم جازان على طريق الجادة إلى المخاليف. ومن أراد الساحل، أخذ من عثر إلى مرسى ضنكان، ثم مرسى حلي ثم السرين»[١٥].

ويتضح من إشارتي ابن خرداذبة وقدامة، أن الطريق كان يمر بمكانين، أحدهما مرسى حلي، والآخر حلي فقط دون إضافة، أو تغيير في ذكر المسافة، أو المراحل التي تسبق، أو تلي المكانين. ولا غرابة في الأمر، لأن حليا واد كبير، يمتد من أعالي جبال السراة ويصب في البحر الأحمر، فلا بد أن يمر أحد طريقي الحج

اليمنيَيْن، الجادة أو الساحلية، بأسفل أو أعلى هذا الوادي. ومن هنا كانت الجادة السلطانية تمر بمحطة ما في وادي حلي إلى الداخل قليلا، في حين كان الطريق الساحلي يمر بغرب حلي، وبصورة خاصة الموقع الذي كان يعرف باسم «مرسى حلي». بل إن الهمداني (ت٣٤٤/٩٥٥)، في حديثه عن محجتي صنعاء التهامية والقديمة يضيف مكانا ثالثا حينما يقول: «المحجة القديمة ترتفع إلى حلي العليا»[١٦]. ومن هنا يمكن القول أن اشارات الجغرافيين إلى حلي، في هذه الفترة المبكرة، لا تعدو كونها محطة، أو أكثر من المحطات التي كانت تقع على طريق الحج اليمنية إلى مكة المكرمة.

غير أن الجغرافيين العرب أخذوا يقدمون معلومات أكثر تفصيلا عن حلي ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ويأتي في مقدمة هؤلاء الهمداني الذي يضمن ذكر حلي في حديثه عن بني حرام، بل إنه يذهب إلى أنها موضع رؤسائهم. مما يدل على أنه يشير إلى مدينة حلي.

ويتلو الهمداني في هذه المعلومة، ابن حوقل (ت٣٦٧/٩٧٧) الذي يذكر أمير حلي، الحرامي، ضمن حكام تهامة في ذلك العصر، دون أن يشير إلى المدينة[١٧]. ولعل أولى المحاولات في وصف مدينة حلي من قبل كتّاب هذه الفترة، هي التي يوردها المقدسي (ت٣٨٠/٩٩٠) بقوله: «وحلي مدينة ساحلية، عامرة سرية، رفقة»[١٨].

ثم يأتي بعد هؤلاء مجموعة من الكتّاب العرب، فيحاولون تحديد المسافة بين حلي وما حولها من المدن أو المواقع الاسلامية شمالا وجنوبا، ولعل في مقدمتهم العذري (ت٤٧٨/١٠٨٥) الذي يقترح بأن المسافة بين حلي والسرين تسعة عشر فرسخاً[١٩]. ويعتقد بأن العذري هو أول من يتعرض لتحديد المسافة بين حلي وجيرانها. أما تلميذه ومعاصره البكري (ت٤٨٧/١٠٩٤) فيقدم وصفا جيدا لموقع حلي، إضافة إلى معلومات تاريخية على جانب كبير من الأهمية، ولكن لم يحالفه الصواب في تحديد المسافة فيما بينها وبين السرين التي يرى بأنها ستة فراسخ فقط[٢٠]. ولعله أراد أن يقول ست مراحل، أو أنه اقتبس عن سابقه، فأخل بما اقتبس، لأن العذري لم يورد المسافة بين السرين وحلي جملة، وإنما يفصلها على طريقته فيقول

«فمن أراد صنعاء (أي من السرين) سار في البحر، ومن شاء سار في قرى لبني كنانة سبخة نحو ستة فراسخ، ثم يسير على آبار نحو ستة فراسخ، بعضها رمال وجبال، والبحر يمينهم إلى برية، سبعة فراسخ، إلى مدينة حلي ابن يعقوب»[٢١]. ومن هنا وقع البكري في اللبس، لأنه كما يبدو نقل الستة الفراسخ الأولى فحسب، ثم أغفل الباقية التي تساوي في مجملها تسعة عشر فرسخا، وهي اجمالي المسافة بين السرين وحلي. وإلى هذا يذهب كل من الملك المؤيد عماد الدين (ت٧٣٢/١٣٣١)، وبدر الدين العيني (ت٨٥٥/١٤٥١)، وابن السباهي (ت٩٩٧/١٥٨٩) في تحديدهم المسافة بين السرين وحلي بتسعة عشر فرسخا»[٢٢].

على أن أول من استخدم المراحل في تحديد موقع حلي بالنسبة إلى جاراتها، في المصادر المتوفر، الجغرافي العربي الادريسي (ت٥٦٠/١١٦٤ ـ ٥)، حيث يذكر أن المسافة من حلي إلى السرين شمالا خمسة أيام، ومنها إلى عثر جنوبا مثل ذلك، وإلى ضنكان، في الجنوب أيضا، مرحلتان حفيفتان[٢٣]. أما معاصره عمارة اليمني (ت٥٦٩/١١٧٤) فيحدد المسافة بين حلي ومكة بثمانية أيام[٢٤]. ولا ريب أن عمارة يعرف المسافة بين حلي ومكة حق المعرفة، لأنه حج إلى مكة المكرمة في سنة ١١٥٣/٥٤٨، ويذكر أنه رأى جامع حلي الذي بناه الحسين بن سلامة، وزير الدولة الزيادية في عهد أبناء أبي الجيش[٢٥]. كما أن معرفة عمارة لهذا الطريق جعلت من جاء بعده من الكتّاب العرب يعتمدون على روايته، وفي مقدمة هؤلاء ياقوت الحموي (ت٦٢٦/١٢٢٩) الذي يذكر، فيما ينقله عن السابق، أن بلدة حلي تبعد عن مكة بمسافة ثمانية أيام من جهة اليمن[٢٦]. ثم يأخذ بهذا التقدير معظم الكتّاب العرب الذين جاءوا بعد ياقوت[٢٧].

يستخلص مما تقدم بأن حليا كانت معروفة منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وأنها كانت محطة على طريق الحج اليمني إلى مكة المكرمة. ويستخلص أيضا من تقديرات الجغرافيين للمسافة بالأيام أو المراحل بين حلي والسرين، وبينها وبين مكة المكرمة، أن هذه المراحل تتطابق مع معرفة السكان المحليين الذين كانوا يحجون إلى مكة المكرمة على ظهور الجمال قبل معرفة السيارات، وبعض هؤلاء لا يزال على قيد الحياة. كما أن تحديد المسافة بين حلي

شكل رقم (١١) المواقع الإسلامية فى وادي حلي

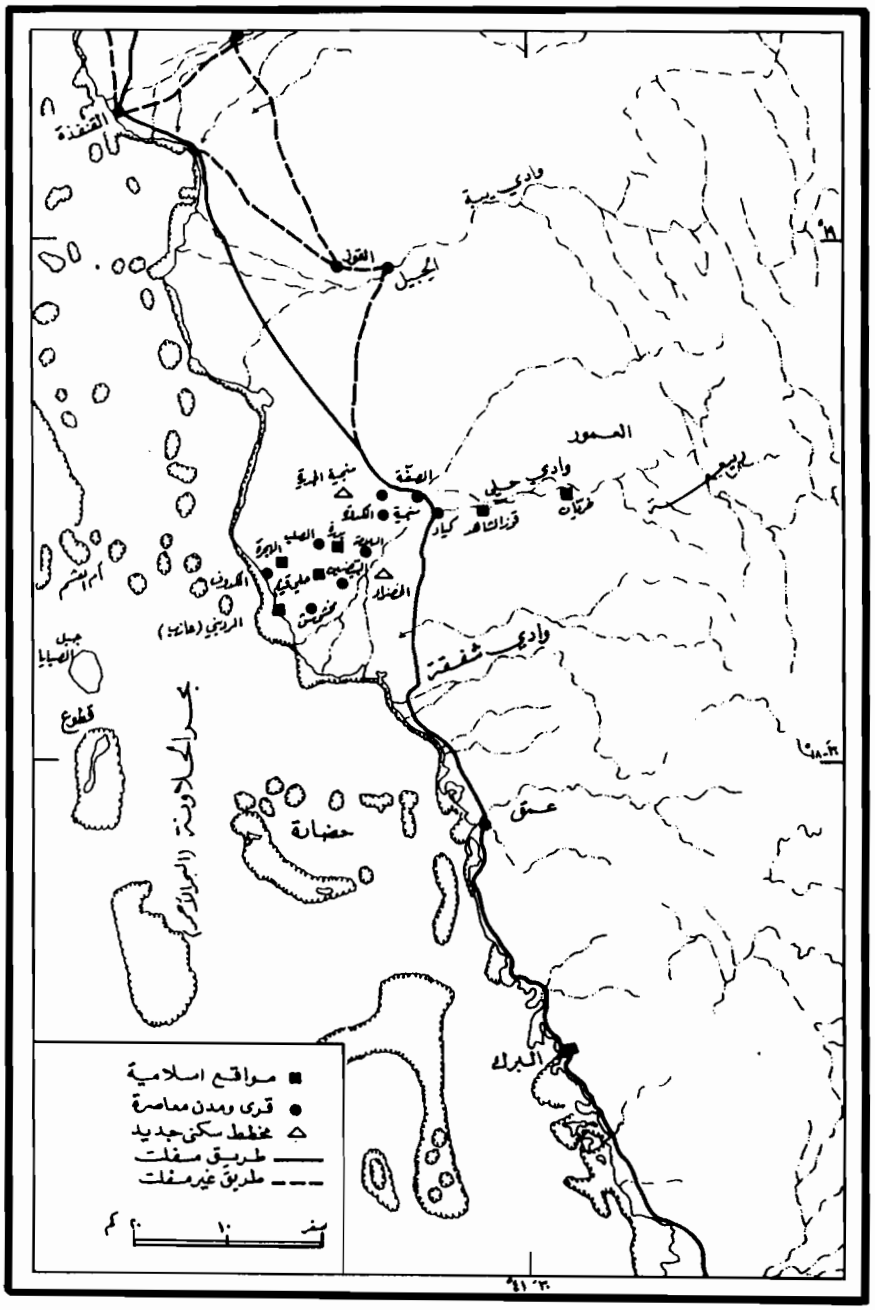

والسرين بتسعة عشر فرسخا، أمر لا يخلو من الصواب، إذا حسبت بالأميال، على أساس أن الفرسخ يساوي ستة أميال في بعض التقديرات[٢٨]. أي أن مجموع المسافة يساوي ١١٤ ميلا. وبما أن الميل يساوي كيلومترا واحدا وستة أعشار الكيلومتر، فإن هذه المسافة تساوي ١٨٣ كيلومترا. وهو تقدير يقارب المسافة الحقيقية المعروفة اليوم.

مدينة حلي ابن يعقوب

سبقت الاشارة إلى أن اسم حلي كان يطلق على الوادي بأكمله من أعلاه إلى أسفله، وعلى أحدى مدنه الرئيسة التي يعتقد بأنها كانت العاصمة المركزية لهذا الوادي، وبصورة خاصة المنطقة التي تشكلها دلتاه الواسعة الممتدة في سهل تهامة الساحلي الفسيح.

وللتمييز بين هاتين التسميتين، فقد أطلق الكتّاب منذ عصور مبكرة على المدينة اسم حلي ابن يعقوب، أو مدينة حلي الساحلية[٢٩]، في حين احتفظ الوادي أو الاقليم باسم حلي فقط. ويعتقد بأن مدينة حلي معروفة منذ وقت مبكر، غير أن أول من أطلق عليها اسم «حلي ابن يعقوب» في المصادر المتوفرة، هو العذري في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٣٠]. ثم أخذ هذا الاسم في الشيوع في كثير من المصادر التي تلت هذه الفترة[٣١].

ولم ترد في المصادر المتوفرة أي معلومات عن ابن يعقوب الذي تنسب إليه مدينة حلي، ولا عن الفترة التي ظهرت فيها هذه التسمية، ويعتقد بأن أول من تعرض لتفسيرها هو الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة (ت٧٧٩/١٣٧٧)، الذي زار مدينة حلي في سنة (٧٣٠/١٣٢٩ ـ ٣٠)، وقدم لنا معلومات قيمة عن مدينة حلي، وعن الحياة فيها، فهو يقول: «وبعد ستة أيام من خروجنا عن جزيرة سواكن، وصلنا إلى مدينة حلي. وتعرف باسم ابن يعقوب، وكان من سلاطين اليمن ساكنا بها قديما»[٣٢].

وممن تعرض أيضا لتفسير هذه النسبة «حلي ابن يعقوب»، كاتبان معاصران: أحدهما، محمد بن علي الأكوع، ناشر كتاب عمارة، الذي يقول: «حلي بفتح الحاء

المهملة وسكون اللام (صحتها بكسر اللام) وآخره ياء مثناه من تحت: مدينة على شط البحر الأحمر يقال لها حلي ابن يعقوب نسبة لمتديرها في زمن مضى، ولا زالت عامرة حتى كتابة هذا»[٣٣]. والآخر، هو عاتق بن غيث البلادي الذي يقول: «وأول ذكر وصل إلينا لحلي، المدينة، ما ذكره الفاسي، (العقد: ٤/٧٩) من أن رجلا من بني حرام استولى على مدينة حلي سنة ٤١٢هـ فاستعادها منه أبو الفتوح». فهذه أول محاولة من بني حرام للاستيلاء على حلي، وأنها مدينة، ولعل هذا الحرامي هو ابن يعقوب، وأنه استولى عليها مرة أخرى فأسس إمارة بني حرام»[٣٤]. ونص البلادي هذا فيه نظر من وجهين: الأول، قوله: وأول ذكر لحلي المدينة وصل إلينا سنة ٤١٢هـ. والثاني، كونها أول محاولة من بني حرام للاستيلاء على حلي، وتأسيس حكمهم فيها. والحقيقة أن ذكر مدينة حلي يتردد في المصادر العربية منذ القرن الرابع الهجري بشهادة المقدسي الذي سبقت الاشارة إلى ما ذكره. أما تقرير الكاتب بأن أول محاولة من بني حرام للاستيلاء على حلي، كانت في التاريخ المشار إليه، فينفيها ما تشير إليه بعض المصادر من أن إمارة حلي كانت في بني حرام منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[٣٥]. غير أن نسبة مدينة حلي إلى شخص هو ابن يعقوب، ربما كان جد الأسرة الحرامية الحاكمة في حلي، فليس هناك من الأدلة ما ينفي قبول هذا الرأي، خاصة وأن حكام هذه الأسرة كان يطلق عليهم إسم «بني يعقوب». وخير برهان على نسبة حكام حلي إلى يعقوب بعض شواهد الشعر التي نظمها شاعر المخلاف القاسم بن هتيمل (ت٦٩٦/١٢٩٦ ـ ٧) في أمراء حلي. ومن ذلك:

أقسمت ما الدنيا وبهجة أهلها ... وجمالها إلا بنو يعقوب
المؤثرون على الخصاصة ضيفهم ... بخصائص المطعوم والمشروب[٣٦]

وقوله:

إذا ذكرت بنو يعقوب خلّا ... لها الشّرف الموالي والعباد
هم السادات إن سالوا أسالوا ... عوارفهم وإن جادوا أجادوا[٣٧]

وله أيضا:

إن الملوك بني يعقوب قاطبة ... وكل ملوك غيرهم سوق[٣٨]

ومهما يكن أمر نسبة مدينة حلي، أو بداية نشأتها، فإنها كانت في القرن الرابع

الهجري/ العاشر الميلادي مدينة حسنة الذكر، حيث يصفها المقدسي ـ كما تقدم ـ بقوله: «وحلي مدينة ساحلية، عامرة سرية، رفقة». ورغم ما في عبارة المقدسي هذه من الاقتضاب، إلا أنها تعبر، بشكل لا يدعو إلى الشك، عن أن مدينة حلي كانت عامرة في ذلك الوقت.

غير أن نصيب هذه المدينة من الافاضة في وصف عمرانها ومرافقها، كان ملحوظا من قبل الكتّاب العرب ابتداء من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ومن هؤلاء العذري الذي يقول «مدينة حلي: بها قرى ودساكر، ومسجد وجامع وسوق كبير، بناؤها بالخشب والحشيش، وماؤها الآبار والمطر، وزرعهم الذرة والشعير، ولباسهم كما تقدم»[٤٠] أي الرداء والازار. ومن تعرض أيضا لوصف مدينة حلي، أبو عبيد البكري الذي يذكر أنها «مدينة ضخمة رملية، بناؤها من الخشب والحشيش، ذات قرى ومساكن ودساكر، وماؤهم من الآبار والعيون»[٤١].

أما ابن المجاور (ت٦٩٠/١٢٩١) فلم يقدم وصفا تفصيليا لمدينة حلي، وإنما يقتصر ذكره لها على أنها «بلد فيه جامع ومنارة»[٤٢]. وذلك على خلاف ابن بطوطة الذي سبقت الاشارة إلى أنه زار مدينة حلي سنة ٧٣٠/١٣٢٩ ـ ٣٠، وأقام فيها أياما، شاهد خلالها المدينة بنفسه وكتب عنها وصفا دقيقا يذكر فيه أنها «كبيرة، حسنة العمارة، يسكنها طائفتان من العرب، وهم بنو حرام وبنو كنانة. وجامع هذه المدينة من أحسن الجوامع، وفيه جماعة الفقراء المنقطعين للعبادة»[٤٣].

يتضح مما تقدم أن كلمة حلي تطلق على وادي حلي بأكمله، وعلى مدينة حلي التي أصبحت معروفة وعامرة منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ثم لم تلبث أن نسبت إلى شخص هو يعقوب، ربما كان أول من اتخذ هذه المدينة، أو أنه مؤسس الأسرة الحاكمة بحلي. وهذا الرأي هو الراجح، أو على الأقل كان من الشخصيات الهامة التي سكنت المدينة، ولعبت دورا بارزا في رقيها وازدهارها.

ويتضح أيضا، أن مدينة حلي وصلت قمة تطورها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، يتبين ذلك من وصف المؤرخين لها بأنها كانت مدينة ضخمة، وأن لها سوق كبير، وجامع، ومسجد، إضافة إلى ما يتبعها من القرى والدساكر. ولا شك أن هذا دليل قاطع على أنها كانت مدينة متطورة، وأنها كانت عاصمة لاقليم حلي بأسرة.

كما أن وصف الجغرافيين، بأن بناء المدينة من الخشب والحشيش، يتفق مع ما هو معروف عن استخدام أهل تهامة لهذه الخامات في بناء بيوتهم حتى عهد قريب، يتضح ذلك مما ورد في كتابات الغربيين الذين زاروا حلي في النصف الأول من القرن الميلادي الحالي، وقدموا وصفا دقيقا لطرز هذه المباني، والخامات التي كانت تستخدم في إنشائها[٤٤]، إضافة إلى معرفتي المتواضعة لهذا النوع من المباني، فقد شاهدتها بنفسي، وكانت هي السائدة في المنطقة بأسرها، ولم تبدأ في الاختفاء إلا منذ سنة ١٣٨٠/١٩٦٠، حيث حلت محلها البيوت المبنية من الأسمنت. وكان سكان المنطقة يبذلون عناية كبيرة في بناء بيوتهم من أخشاب النباتات المتوفرة في بيئتهم، وبصورة خاصة الأثل والسدر، ثم يعملون على تغطيتها من الخارج بنبات الحلفا والحصير. أما من الداخل فيسترون هذه الأخشاب بطبقة من الطين ونحوه، ثم بطبقة أخرى من الجص. ولا يقتصر الأمر على ما ذكر فحسب، بل إن أهالي تلك البلاد يتفننون في تجميلها وزخرفتها من الداخل باستخدام الألوان المختلفة سواء المحلية، أو المستوردة.

ولا يعني هذا أن جميع بيوت مدينة حلي مبنية من الخشب والحشيش، فقد دل المسح الأثري على وجود مخلفات لمبان استخدمت فيها الأحجار والطوب الأحمر على نطاق واسع[٤٥]. ولا شك أن جامع المدينة، كان في مقدمة هذه المباني بدليل وصف ابن بطوطة له بأنه من أحسن الجوامع، وابن بطوطة، كما هو معروف، شاهد عيان يصف ما شاهده بعينه، وقد رأى مساجد لا حصر لها، أثناء رحلته التي جاب فيها معظم أنحاء المعمورة، فاطلاقه هذا الوصف على جامع حلي، يدل على أن عمارته كانت على درجة من الاتقان.

موقع مدينة حلي ابن يعقوب

يسود الاعتقاد بين سكان حلي اليوم، ولا سيما المثقفين، بأن مدينة حلي ابن يعقوب كانت تطلق على المكان المعروف في الوقت الحاضر باسم «حلي قديم». غير أن هؤلاء السكان تنقصهم البراهين على صحة ما يقولون. كما أن المصادر العربية لم تشر، فيما تورده من معلومات عن مدينة حلي، ولا إلى مكان هذه المدينة بالضبط. ولكن هذه المصادر تحتفظ بين طياتها ببعض القرائن التي تساعد الباحث على الزعم

بأن موقع حلي قديم، المعروف اليوم، هو نفس مدينة حلي القديمة التي كانت تدعى حلي ابن يعقوب.

وتتمثل هذه القرائن فيما يفهم من إشارات بعض المصادر من أن هذه المدينة تقع على الساحل أي بالقرب من البحر؛ فقد تقدم وصف المقدسي لها بأنها مدينة ساحلية. ويشير إلادريسي أيضا في عدة مواضع إلى أنها مدينة ساحلية[٤٦]. وكلمة الساحل يقصد بها عند سكان تهامة المنطقة الزراعية السهلية المحاذية للبحر، ويطلق على سكانها أهل الساحل[٤٧]، وذلك بخلاف الأرض السبخة الملاصقة لشاطيء البحر التي لا تصلح للزراعة. وكلا المعنيين لهما أصول في اللغة العربية[٤٨]. أي أن هذه المدينة تقع قليلا إلى الداخل، في المنطقة الزراعية الممتدة في دلتا وادي حلي الخصيب.

ومن القرائن أيضا التي تدلل على صحة هذا إلاعتقاد، ما جاء في بعض المصادر من أن مدينة حلي رملية كثيرة الرياح، وممن يورد هذا القول الهمداني الذي يذكر حلي في معرض حديثه عن أماكن الرياح في الجزيرة العربية، فيقول: «وأكثر هذه المواضع رياحا الخِضْرِمَة من اليمامة، وبالفلج [الأفلاج] وبحلي من أرض كنانة»[٤٩]. ويصفها البكري أيضا بأنها «مدينة ضخمة رملية»[٥٠]. ولا تزال الرياح تهب بغزارة على المنطقة المحيطة بهذا الموقع، مما حدا بكاتب معاصر إلى أن يضع حلي في قائمة المواقع ذات الرمال الصعبة في المملكة العربية السعودية، مثل شَفْقَة وعَمِق والشُّقَيْق [٥١]. وكلها أماكن تهامية تقع على التوالي إلى الجنوب من حلي[٥٢].

ومنها أيضا أن مدينة حلي تقع وسط غابة من شجر السدر، وإلى هذا يشير ياقوت، ويستشهد ببيت من الشعر لأحد الأعراب، يقول فيه:[٥٣]

فوالله ما أحببت سدرا ببلدة من الأرض، حتى سدر حلي اليمانيا

ولا يزال وجود شجر السدر ملحوظا حول هذا الموقع حتى الآن، وهو يفوق في كثرته المواقع الأخرى في وادي حلي، ولا سيما تلك التي تقع في شرقه، باستثناء المنطقة التي حول الكُدْوَة، إلى الشمال الشرقي من حلي قديم. وقد لفت وجود السدر حول مدينة حلي انتباه الرحالة الغربي، روتر [Rutter]، الذي زار الموقع في النصف الأول من القرن الماضي، وقدم وصفا شيقا لهذه الأشجار والثمار التي تنتجها[٥٤].

وهكذا يتضح من إلاشارات السابقة أن حلي مدينة ساحلية، ولكنها لا تقع في المنطقة السبخة، وإنما تقع قليلا إلى الداخل في المنطقة الخصبة التي تكثر فيها أشجار السدر وتوجد حولها الرمال بغزارة. وهذا الوصف ينطبق على المنطقة المحيطة بهذا الموقع الذي يعرف اليوم باسم «حلي قديم»، مما يدعو إلى الإعتقاد بأنه يقوم في المكان الذي كانت تقوم فيه مدينة حلي ابن يعقوب، وإنما اختفت نسبتها إلى يعقوب بعد زوال حكم الأسرة الحرامية، وانتهاء دور المدينة القيادي كعاصمة للاقليم. ومع هذا فقد احتفظت باسم «حلي» مضافا إليه كلمة «قديم»، للدلالة على ماضي هذه المدينة الذي يضرب في أعماق التاريخ.

أما عن موقع مدينة حلي قديم بالنسبة للأماكن المجاورة، فيتعرض لذكره كاتبان أوروبيان، زارا المنطقة في النصف الأول من القرن الميلادي الحالي، ودونا ملاحظاتهما عن الموقع، وعن المناطق المجاورة له بدقة. وأول هؤلاء روتّر الذي سبقت إلاشارة إلى أنه زار المنطقة في سنة ١٣٤٤/١٩٢٥، ودون ملاحظاته عن حلي، ومما جاء في هذه الملاحظات «ومررنا قبل الفجر بأطلال قرية حلي. . . . وهي قرية مثل معظم القرى في غرب الجزيرة العربية، أكواخها مبنية من النبات، ومسجدها من الطين، وهي تقع في سهل منخفض على مسافة ليست بعيدة عن البحر، وبالقرب منها مما يلي البحر، قرية أخرى تدعى مَخْشُوْش»[٥٥]. ثم يضيف «وبعد أن استرحنا بقرية حلي، غادرناها حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر، وسرنا حوالي ميلين عبر حقول الدخن الكثيفة إلى مكان يدعى الصُّلْب، وهو عبارة عن واحات خضراء كبيرة تتكون من أشجار النخيل والسدر، وبعض أشجار هذه النخيل محملة بالبلح الذي يتسابق الأعراب لالتقاط ما يسقط منه بفعل الرياح»[٥٦].

أما فيلبي [Philby] الذي نزل بقرية مخشوش في يوم ١/١٢/١٣٥٥هـ الموافق ١٢/١/١٩٣٦م، فيذكر أن «مخشوش تدين بمكانتها إلى بئرها المشهورة التي جذبت الساكنين إليها، ولكن قرية كنانة الأصلية تدعى حلي قديم، وهي تقع شرقي الطريق (طريق الحج اليمني) على بعد ميلين ونصف شمال مخشوش، بينما تقع قرية الصُّلب في بيئة جميلة على بعد حوالي ميل أو أكثر خلف حلي قديم، على الطريق نفسه»[٥٧]. ويرد ذكر موقع حلي، في كتاب: «غرب الجزيرة العربية والبحر الأحمر»

شكل (٢١) موقع مدينة حلي قديم (ابن يعقوب)

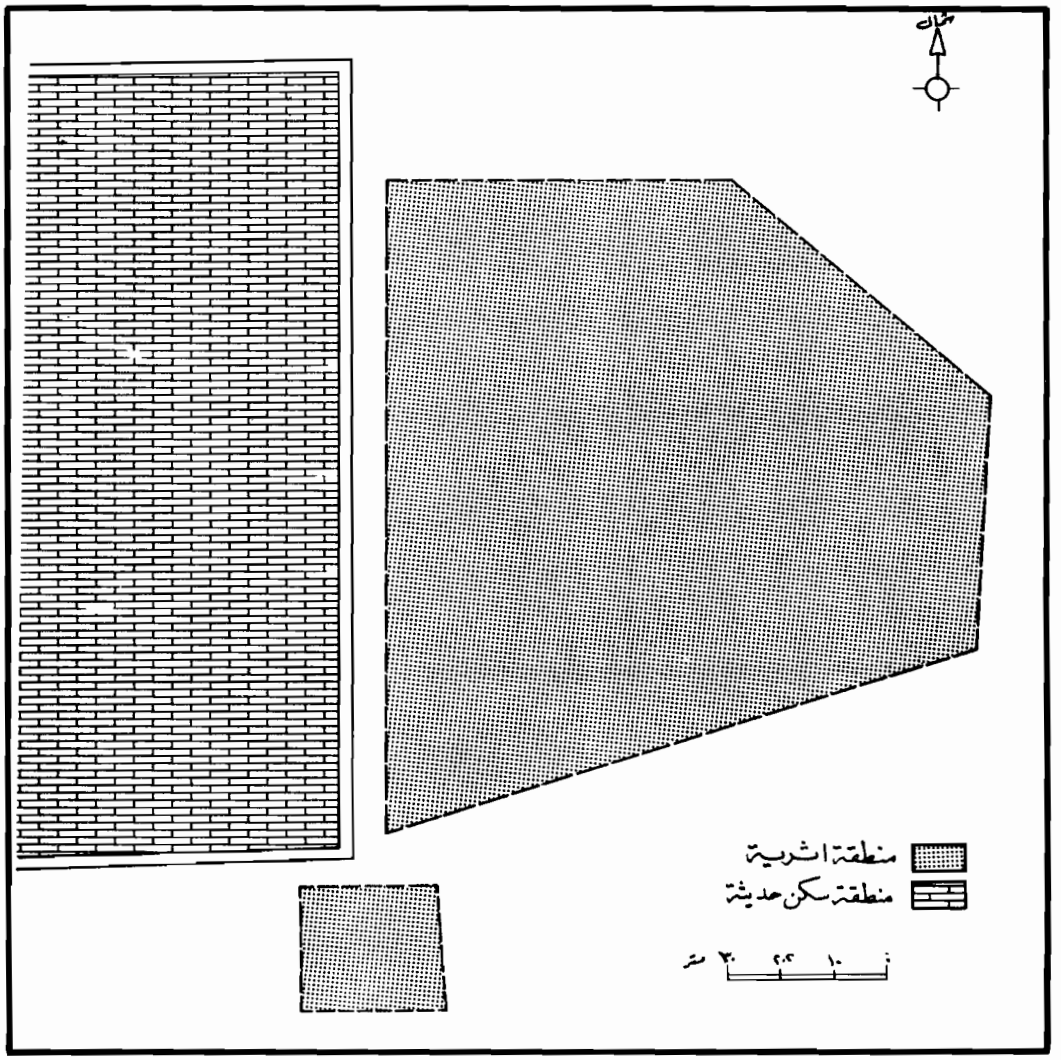

Western Arabia and the Red Sea حيث توصف بأنها قرية تقع إلى الشرق من رأس حلي، قليلا إلى الداخل في فوهة الوادي[٥٨]. ويشير كحالة إلى أنها قرية صغيرة، تقع بالقرب من الشاطيء، وأنها على بعد حوالي أربعين ميلا إلى الجنوب الشرقي من القنفذة[٥٩]. ويذكر كاتب معاصر أن مدينة حلي قديم تقع على بعد ثلاثين كيلومترا إلى الجنوب من قَوْز بَلْعَيْر، وعلى ثمانية كيلومترات إلى الشرق من سيف البحر، وستين كيلومترا إلى الجنوب من القنفذة[٦٠].

يتضح مما تقدم أن مدينة حلي قديم تقع بين مخشوش إلى الجنوب، وقرى الصُّلب إلى الشمال، مما لا يدع مجالا للشك بوجود مكان آخر في وادي حلي يحمل هذا الإسم، وأنها طبقا لاعتقاد السكان المحليين، والعوامل الجغرافية، وتحديد المسافات فيما بينها وبين البحر والمواقع المجاورة من جهة، وبين القنفذة من جهة أخرى، تجعل من الراجح، القول: بأن موقع حلي قديم، المعروف في الوقت الحاضر، ما هو إلا موقع مدينة حلي ابن يعقوب التاريخية.

المسح الأثري لمدينة حلي ابن يعقوب وضواحيها

تم في صيف عام ١٤٠٥/١٩٨٤، القيام بزيارة ميدانية لموقع حلي قديم، للتعرف على موقعها على الطبيعة، ومشاهدة أطلالها وما تبقى على سطحها من مخلفات أثرية. كانت هذه الزيارة في إطار مشروع بحثي «مسح أثري وتاريخي لمناطق إمارات مكة الجنوبية» بما في ذلك المواقع الإسلامية في وادي حلي. وقد اتضح من هذه الرحلة الميدانية أن حلي قديم تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة مخشوش، مقر مشيخة كنانة اليوم، بحوالي ٤ كيلومترات، وإلى الجنوب من منطقة الصُّلب الخصبة بحوالي ٣ كيلومترات. وهي تتوسط قرى دلتا وادي حلي الخصبة، وسكانها، في الوقت الحاضر، هم السادة العراقية، وقليل من أفراد بني كنانة الذين يشكلون غالبية سكان ساحل حلي[٦١]. يمكن الوصول إليها من الطريق الرئيسي المعبّد الذي يربط جنوب المملكة بمكة المكرمة، بواسطة طريقين بريين غير مسفلتين: أحدهما، يتفرع من قرية كِيَاد، ويمر بمخطط الخضراء، ثم بعض مساكن المشاييخ وبني كنانة

إلى موقع حلي قديم. والآخر يبدأ من مفرق الصفة، مركز إمارة شرق وادي حلي، ثم يمر بقوز بن عطاف والكدوة، وبعض قرى العمور إلى الصُّلب ثم إلى حلي قديم.

ورغم ما يتردد بين السكان المحليين من أن حلي قديم، كانت على جانب كبير من العمران حتى منتصف القرن الهجري الماضي، حتى أنه إذا نودي بالآذان على منارة جامع حلي قديم، أذن بعدها على ثلاثين منارة في أحياء وادي حلي المختلفة[٦٢]. إلا أن هذا الموقع كاد يخلو من سكانه تماما بعد حوالي سنة ١٣٨٠ / ١٩٧٠، إذ هجره معظم سكانه واستقروا في القنفذة، العاصمة المركزية للمنطقة، وفي الحبيل، احدى قرى وادي يبة الرئيسة. ولم يبق في الموقع المشار إليه إلا أكواخ بسيطة تعد على أصابع اليد الواحدة، ولكنها سرعان ما أخذت في النمو، وعاد إليها بعض الذين هجروها من سكانها، فتحولت إلى قرية صغيرة، يتكون بناؤها من الصنادق والطوب، وقليل من العشش التي تدخل النباتات المحلية في بنائها.

شيدت جميع هذه المباني فوق أطلال مدينة حلي القديمة، بما في ذلك مسجدها الجامع الشهير. فقد ذكر إلامام الحالي لمسجد حلي قديم، السيد محمد بن ياسين، أن المسجد الذي زاره ابن بطوطة يقع تحت مسجدنا هذا، وأن جميع هذه المباني الآن، قامت أصلا على أساسات منازل قديمة. ويقول أيضا: «أنك لو حفرت في أي مكان بالقرب من هذا الحي السكني، فستجد بعض مخلفات البناء القديم من الأحجار والطوب الأحمر ونحوه»، وقد أدى هذا الوضع الناتج عن جهل السكان بقيمة الآثار إلى اختفاء معظم آثار مدينة حلي القديمة، ولم يبق منها إلا تلان صغيران يقعان إلى الشرق والجنوب الشرقي من الحي السكني[٦٣].

يتكون التل الأول من شكل خماسي، أطول أضلاعه ٩٧ مترا، وهو يقع إلى الغرب مما يلي الحي السكني الحديث. ثم يليه في الطول، الضلع الجنوبي، وهو ٣٠ر٩٠ مترا. أما الضلع الشمالي والشمالي الشرقي، فطول كل منهما ٥٠ مترا. وطول الضلع الشرقي ٥٠ر٣٧ مترا. ويوجد على سطح هذا التل بعض أساسات المنازل، إضافة إلى مادة غزيرة من مخلفات البناء مثل الأحجار التي يعتقد بأنها جلبت من الحرة الواقعة إلى الجنوب من وادي حلي، وكسر الطوب الأحمر الذي يبدو أنه استخدم على نطاق واسع في بناء منازل المدينة[٦٤]. ويتدرج هذا التل في إلانخفاض

نحو الجهات الأربع، ويبدو أن الجهة الشرقية منه كانت مكانا لحرق الطوب الأحمر بعد تجفيفه، بدليل وجود طبقة كثيفة من مسحوق الطوب الأحمر المتفتت في تلك الجهة.

أما التل الثاني، فهو صغير، ويقع إلى الجنوب الغربي من التل الأول. وهو يمثل شكلا رباعيا، غير منتظم إلاضلاع، مساحته التقريبية حوالي ٤٥٠ مترا مربعا، وهو يحمل الملامح نفسها التي ذكرت في التل الأول. ومما يؤسف له أن ما تبقى من أساسات منازل مدينة حلي في طريقها إلى الزوال، لأن إلآهالي الذين يجهلون قيمة الآثار ـ كما تقدم ـ يعمدون إلى حفر هذه إلاساسات، واستخراج الأحجار التي تحتوي عليها، ومن ثم إعادة استخدامها في بناء منازلهم، وإذا لم يسارع المسؤولون في إدارة الآثار إلى إيقاف هذه الأعمال، وإحاطة ما تبقى من أطلال المدينة القديمة بسور يقيها من التعديات، فإن الدارسين لن يجدوا مع الزمن ما يدلل على وجود هذه المدينة التاريخية.

ولم يعثر حتى الآن في موقع حلي قديم على مخلفات تحمل كتابات اسلامية، باستثناء شاهدي قبر؛ قيل بأن أحدهما نقل إلى جهة رسمية، والآخر وضع تحت شجرة سدر من الأشجار التي يكثر وجودها حول الموقع، ثم لم تلبث هذه الشجرة أن احترقت، وأتت النار على هذا الشاهد الذي تفتت، وتحول إلى قطع صغيرة، فلم يعد من المستطاع، بفعل آثار الحريق، حل رموز الأحرف التي تظهر على بعض القطع المتبقية من هذا الشاهد.

وينسب إلى بعض الثقات أنه رأى حجرا عليه كتابة اسلامية بمسجد حلي قديم منذ حوالي عشرين سنة، ولكن هذا الحجر اختفى قبل مدة طويلة، والظاهر أنه كان عتبة أو حجر تأسيسي للمسجد المذكور، فقد سبقت إلاشارة إلى أن الحسين بن سلامة عمل على توسعة وتجديد مسجد حلي في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأنه يعتقد بأن عمارة اليمني رأى اسم الأول مكتوبا على حجر بهذا المسجد عندما حج سنة ٥٤٨/١١٧٤. ويذكر ابن الديبع نقلا عن ابن عبد المجيد، أن الأخير رأى اسم الحسين بن سلامة مكتوبا في عدة جوامع في أماكن مختلفة، كجامع زبيد وجامع حلي وغيرهما[٦٥].

وتجدر الإشارة إلى أن موقع حلي قديم محاط بالكثبان الرملية الغزيرة من جميع الجهات، فلعل هذه الكثبان تخبيء تحتها بعض آثار مدينة حلي التاريخية، لأن التلين المشار إليهما بقيا مكشوفين بسبب الحي السكني الحالي الذي يشكل من الغرب حاجزاً للرياح الموسمية من أن تسفي عليهما الرمال التي يغزر وجودها ـ كما تقدم ـ في تلك الجهة من حلي. ويعتقد بأن إجراء حفريات في هذا الموقع ربما يكشف للدارسين بعض الحقائق الهامة التي لا تخطر على بال.

يجاور مدينة حلي قديم من الشمال والشرق والغرب عدد من الأماكن الأثرية التي يعتقد بأنها تعود إلى العصور إلاسلامية. ومن هذه الأماكن الهِجْرَة، وتقع إلى الغرب من مدينة حلي قديم بحوالي أربعة كيلومترات. ويسكن بالقرب منها، في الوقت الحاضر، بعض أفراد قبيلتي ربيعة ووينة إلى الشرق من الموقع، فيما يعرف بإسم الهجرة الجديدة. أما الهجرة القديمة فتلاصق الأولى من الغرب، ولم يبق منها إلا المقبرة، وتلان صغيران يحفان بها من الشمال الشرقي والجنوب الغربي، وهما مغطيان بمادة لا حصر لها من كسر الفخار والخزف والزجاج.

ويوجد إلى الشمالي الشرقي من مدينة حلي قديم بحوالي ثلاثة كيلومترات آثار قرية الثَّايَة، وهي تحمل نفس الملامح السابقة، إضافة إلى أساسات حجرية لمبنى يعتقد بأنه كان مسجدا[٦٦]. وعلى بعد حوالي أربعة كيلومترات من حلي قديم في إلاتجاه نفسه، يوجد موقع آخر اسمه بَدْرَة، وسكانه في الوقت الحاضر هم الدَّرَاهِمَة الذين يسكنون في مسميات تحيط بموقع بدرة على شكل دائرة، نصف قطرها حوالي كيلومتر واحد، منها: الدُّبَيْسِيّة إلى الجنوب، والدَّبَش إلى الغرب، وعُرْيَانَة إلى الشرق. ويجاور الدراهمة من الشمال بعض أفراد قبيلة العمور في المنطقة المعروفة بإسم «أم الحَاضِر»، ومن الشمال الغربي الأشراف الرُّمَثَة، أو ذوو بركات في قرية تعرف باسم الحَجَر[٦٧].

تقع آثار بدرة إلى الغرب من مساكن بدرة الحالية، وهي عبارة عن تل صغير، تتناثر على سطحه بعض مخلفات الطوب الأحمر، وكسر الفخار، والزجاج. ويوجد في الطرف الغربي لهذا التل، أساسات بناء، استخدم فيه الطوب الأحمر المبَيّض بالجص أو النورة، ويبرز من هذا البناء بشكل واضح، جداراه الشمالي والغربي

شكل (٣) موقع قرية بدرة

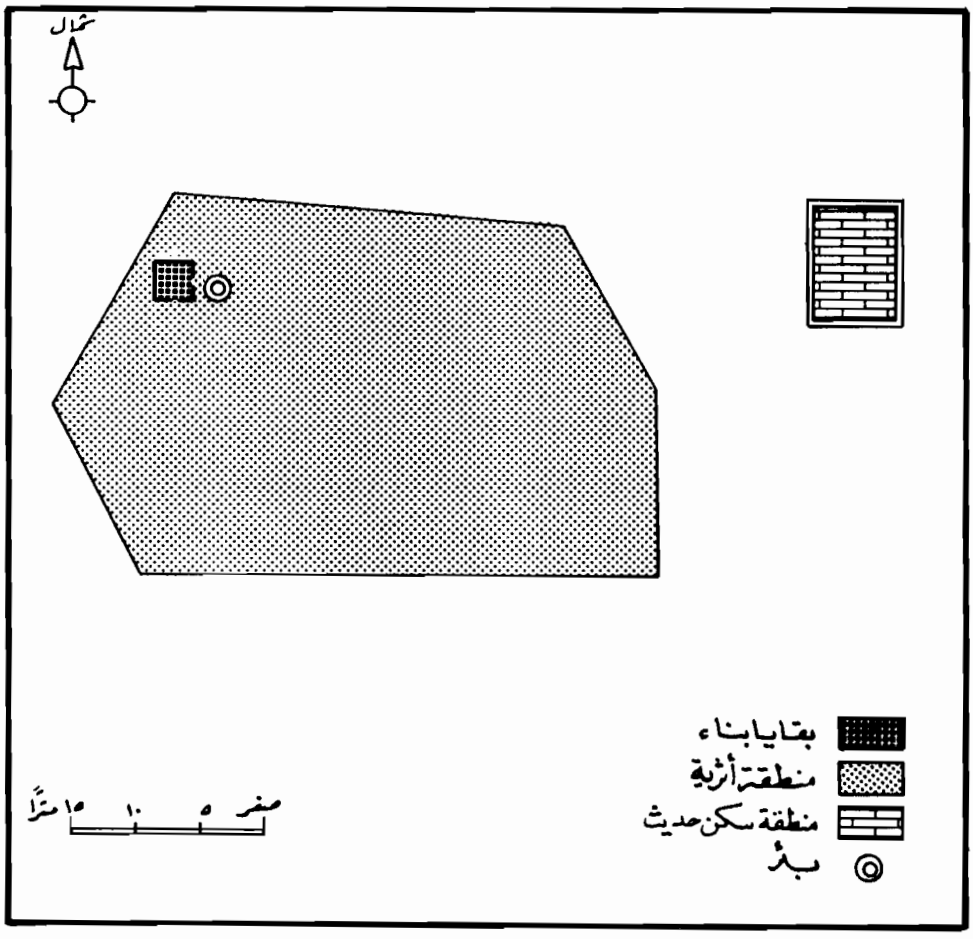

الذي يبلغ طول كل منهما ثلاثة أمتار. أما الجداران الجنوبي والشرقي، فهما على درجة أقل من الوضوح، ويبلغان نفس الطول المذكور في الجدارين السابقين. وتوجد في طرف هذا المبني من الشرق، بقايا بناء آخر من الحجر على شكل دائرة قطرها حوالي المتر، وسمك الجدار يبلغ تسعين سنتمترا تقريبا. ويعتقد بأنه يمثل الجزء العلوي لبئر قديمة مدفونة، في حين أن المبنى الأول ربما كان يستخدم حوضا بني بالقرب من هذه البئر[٦٨].

ومن هنا يتضح بأن مدينة حلي تحتل موقعا تحيط به مواقع أخرى، هي ضواحيها، وربما كانت معاصرة لها، ولهذا لا غرابة إذا اعتقد الأهالي بأنه إذا نودي بالآذان على منارة جامع حلي، أذن بعدها على ثلاثين منارة في أحيائها المجاورة.

ميناء أو مرسى حلي

سبقت الاشارة إلى أن ميناء أو مرسى حلي كان معروفا في المصادر العربية منذ أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ولكن هذه المصادر لم تشر إلى أهمية هذا الميناء وإلى دوره التجاري. ثم استمر الوضع على ذلك طوال القرنين الرابع والخامس/ العاشر والحادي عشر، إلى أن جاء الادريسي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فألقى الضوء على ميناء حلي، وعلى بعض أوجه نشاطه، عندما يقول: «وهي فرضة من جاء من أرض اليمن، وفرضة لمن صعد من القلزم»[٦٩].

ويبدو أن ميناء حلي بقي عامرا طوال الفترة التي تلت الادريسي، لأنه يفهم من كلام ابن بطوطة، ومن إشارات مؤرخي مكة واليمن، أن مرسى حلي كان معروفا في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد[٧٠]. فهل اختفى ميناء حلي بعد هذين القرنين أم أنه كتب له البقاء في الفترة التي تلتهما؟ ويسود الاعتقاد بأن ميناء حلي استمر في بقائه مدة طويلة بعد الفترة المشار إليها، بل لعله كان مستخدما حتى القرن الهجري الماضي، حيث تعرض فليبي لذكره في سنة ١٣٥٥/١٩٣٧ ووصفه بأنه ميناء أو مرسى حلي، وأن مسؤولية هذا الميناء كانت مناطة بالشيخ ابراهيم الكناني، شيخ قبيلة كنانة، وجد شيخها الحالي

عبدالرحمن بن عيسى الكناني[٧١]. ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: أين يقع هذا المرسى؟ إذ لا تملك المصادر المتيسرة أي إجابة على هذا السؤال، الا أن فيلبي الذي سبقت الاشارة إلى زيارته لهذه المنطقة، يذكر أن مرسى حلي هو عازب Azib، وأنه يقع إلى الغرب من مخشوش بحوالي ثلاثة أميال[٧٢]. غير أن المعلومات المستقاه من بعض السكان المحليين تفيد بأن اسم عازب هذا لا وجود له في ساحل حلي، وإنما هناك مكان شبيه بهذا الاسم يطلق عليه العَذَيْر، وهو أرض زراعية تقع إلى الغرب من مخشوش وليست قريبة من البحر ولا تصلح لرسو السفن. أما موقع الميناء في تلك الفترة فكان يطلق عليه «أبو مسعود»، وحتى ميناء أبي مسعود هذا، لم يكن هو ميناء حلي القديم، وإنما هو ميناء حديث النشأة ـ ربما بعد زيارة فيلبي ـ ، وإنه استخدم من قبل الصيادين ورجال خفر السواحل عندما تعذر الرسو في الميناء القديم بسبب ردم السيول له، كما سيأتي. ثم استبدل أبو مسعود بمرسى آخر هو الكُدُوْف. وهو يقع إلى الشمال من الميناء القديم بحوالي أربعة كيلومترات، وبه مبنى مركز لخفر السواحل[٧٣]. ولم يكن لمرسى الكُدُوْف هذا أهمية تذكر، وليس له رصيف لرسو السفن، وإنما يستخدم الشاطي المقابل لمركز خفر السواحل، في الوقت الحاضر، لرسو الزوارق الصغيرة التي تمتلكها إدارة المركز، وما شابهها من تلك الزوارق التي تعود ملكيتها إلى صيادي الأسماك في المناطق المجاورة.

أما ميناء حلي القديم، فيسود الاعتقاد بين السكان المحليين أنه كان في الموقع المعروف ـ حتى اليوم ـ باسم الرديني، وهو إلى الغرب من مخشوش بحوالي خمسة كيلومترات، وإلى الجنوب من مركز الكُدُوْف بحوالي أربعة كيلومترات. فماذا يقصد بكلمة الرُّدَيْنِي هذه؟ وهل هي اسم لشخص أم للمكان؟ ولا ريب أن هذه الكلمة جاءت من اسم شخص، مات ودفن في هذا الموقع الذي نسب إليه فيما بعد، كما سيأتي. أما الاسم الأصلي للمكان، فقد حفظته المصادر اليمنية المعاصرة لبداية نشأة هذه التسمية. ومنها، على سبيل المثال، طبقات الخواص، للشرجي الذي يذكر بأن الشيخ الرديني توفي وهو قافل من الحج في سنة ١٤٢٣/٨٢٧، «ودفن بساحل البحر من ناحية حلي بقرية يقال لها عازب وقبره هناك مشهور... وعليه مشهد عظيم»[٧٤]. ويورد ابن الأهدل أيضا ترجمة إضافية للشيخ الرديني، يذكر فيها أنه توفي ودفن في عازب في السنة المذكورة، وأن قبره مشهور في هذا الموقع[٧٥].

ومن هنا يتضح أن اسم ميناء حلي في العصور الاسلامية هو عازب، وليس الرديني، وأنه كان معروفا قبل وفاة الشيخ المذكور، ولعل هذا الاسم «عازب» بقي معروفا حتى قدوم فيلبي إلى حلي في سنة ١٣٥٥/١٩٣٦ أو أنه اختفى قبل ذلك واستقاه فيلبي من المصادر التاريخية. وعندما انتهى دور عازب كميناء بقي الضريح، الذي كان من المزارات المشهورة هناك[٧٦]، أحد المعالم البارزة في موقع الميناء، ثم لم يلبث مع الزمن أن تغلب اسم صاحب الضريح على المكان نفسه بحيث لا يعرف في الوقت الحاضر إلا باسم الرديني.

وهذا الموقع مهجور تماما في الوقت الحاضر ولم يبق منه إلا أساسات ضريح الشيخ الرديني، وجزء من المقبرة التي تقع في شمال شرق الضريح، إضافة إلى جزء من الحي السكني الذي يمتد إلى الجنوب من الضريح. وقد تأثر الموقع بكامل أجزائه من جراء السيول، لأن وجوده في فوهة وادي حلي جعله عرضة للجوارف؛ فالمقبرة، على سبيل المثال، لم يبق منها إلا لحود مكشوفة، والحي السكني لم يعد يرى منه إلا بقعة صغيرة تمتد جنوب الضريح بمساحة تقدر بحوالي ١٠٥×٢٥ مترا. وهي مغطاة بمخلفات البناء والأصداف وكسر الفخار والزجاج والخزف. وقد عثر في هذه البقعة على ثلاث قطع نقدية، اثنتان منها من البرونز، والثالثة من النحاس: وجميعها مغطاة بطبقة كثيفة من الصدأ. وقد تم تنظيفها في معمل قسم الآثار والمتاحف، لمعرفة ما إذا كانت تحمل كتابات تدل على فترات سكها، ولكن مع الأسف تبين أن الكتابات التي تحملها قد تآكلت وامحت بفعل الصدأ. وتزن هذه العملات الثلاث، بعد تنظيفها، على التوالي، ١٫٤٥ و٢٫٢٥ و٢٫٥١ غراما[٧٧].

تقع منطقة الضريح على ربوة طينية، وهي تقريبا على شكل مثلث، قاعدته حوالي ٢٥ مترا وطول ضلعيه مثل ذلك. ويبدو أن وجوده على هذه الربوة ساعد على حمايته من جرف السيول، ولكنها، رغم ذلك، لم تحمه من عوامل السقوط والتهدم، فلم تبق منه الا أساسات جدرانه التي تشكل مربعا مساحته التقريبية حوالي ٤٠ مترا مربعا، وبعض مخلفات البناء الذي استخدم فيه الطوب الأحمر جنبا إلى جنب مع الصخور التي قدت من الشعاب المرجانية[٧٨].

يوجد القبر في نصف الضريح الجنوبي، وهو ينسب إلى الشيخ الرديني، وهو من علماء اليمن، واسمه أبو العباس أحمد بن محمد الرديني الشريف السني، يصفه

الشرجي بأنه «كان شيخا جليل القدر، مشهور الذكر، اشتغل في بدايته بالعلم، وحصّل منه طرفا صالحا، وجمع كتبا كثيرة. وكان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر متنزها عن الأخذ من أيدي الناس، لا يأكل إلا ما يزرعه»[٧٩]. ويذكر ابن الأهدل أن خروج الشيخ أحمد الرديني في أول شبابه، كان من نواحي حرض، شمال اليمن، وأنه اشتغل بالعلم، وصحب أناسا كثيرين، ثم بنى زاوية عرفت باسم الرغد ـ بفتح الراء والغين المعجمة ـ وحج في أواخر سنة ١٤٢٢/٨٢٦ ـ ٣، وعند عودته توفي في مدينة عازب المذكورة في مطلع السنة التالية[٨٠]. وتشكل أطلال ضريح الشيخ المذكور أحد المعالم البارزة في الموقع المشار إليه.

وتقع إلى الشمال الشرقي من الرديني بحوالي ١ ½ كم مقبرة قديمة تعرف باسم «مقبرة بني هلال». وهي تسمية تدل على قدم هذه المقبرة، لأن سكان تهامة، بصورة عامة، ينسبون إلى بني هلال، القبيلة العربية المشهورة، كل قديم مهجور من آبار وخرائب ومقابر ونحوها[٨١]. وهذه المقبرة ليست كبيرة، إذ لا تزيد مساحتها التقريبية عن ١٢٠٠ متر مربع. ولا تزال قبورها واضحة المعالم، وشواهدها التي جلبت من الشعاب المرجانية، قائمة ولم تتأثر بالرياح القوية التي تهب على المنطقة. ولكن نظرا لأن هذا النوع من الشواهد لا تصلح عليه الكتابة بسبب خشونة بلاطاتها، فلم يعثر في هذه المقبرة على أي كتابات اسلامية تدل على أسماء المتوفين أو تواريخ وفياتهم.

ويعتقد بأن هذه المقبرة كانت تابعة لموقع الرديني، لعدم وجود مكان سكني بالقرب منها، ولأن المسافة بين الرديني وهذه المقبرة ليست كبيرة جدا، بل هي مسافة طبيعية بالنسبة لمواقع المقابر من الأحياء السكنية في كثير من المواقع التهامية حتى في العصر الحاضر. وربما اختيرت في هذا المكان من قبل طائفة من سكان الرديني، لكي يدفنوا موتاهم في مكان يبعد عن مجرى وادي حلي الذي يشكل تهديدا لموقع الرديني من الشمال. ولا شك أن موقع هذه المقبرة خارج مجرى الوادي من الشمال، يجعلها بمنأى عن تهديد السيول التي تجري بغزارة في وادي حلي، مما يجعل مواسمه الزراعية تمتد على معظم فصول السنة[٨٢].

شكل (٤١) موقع الرديني أوعازب (سيناء حلي)

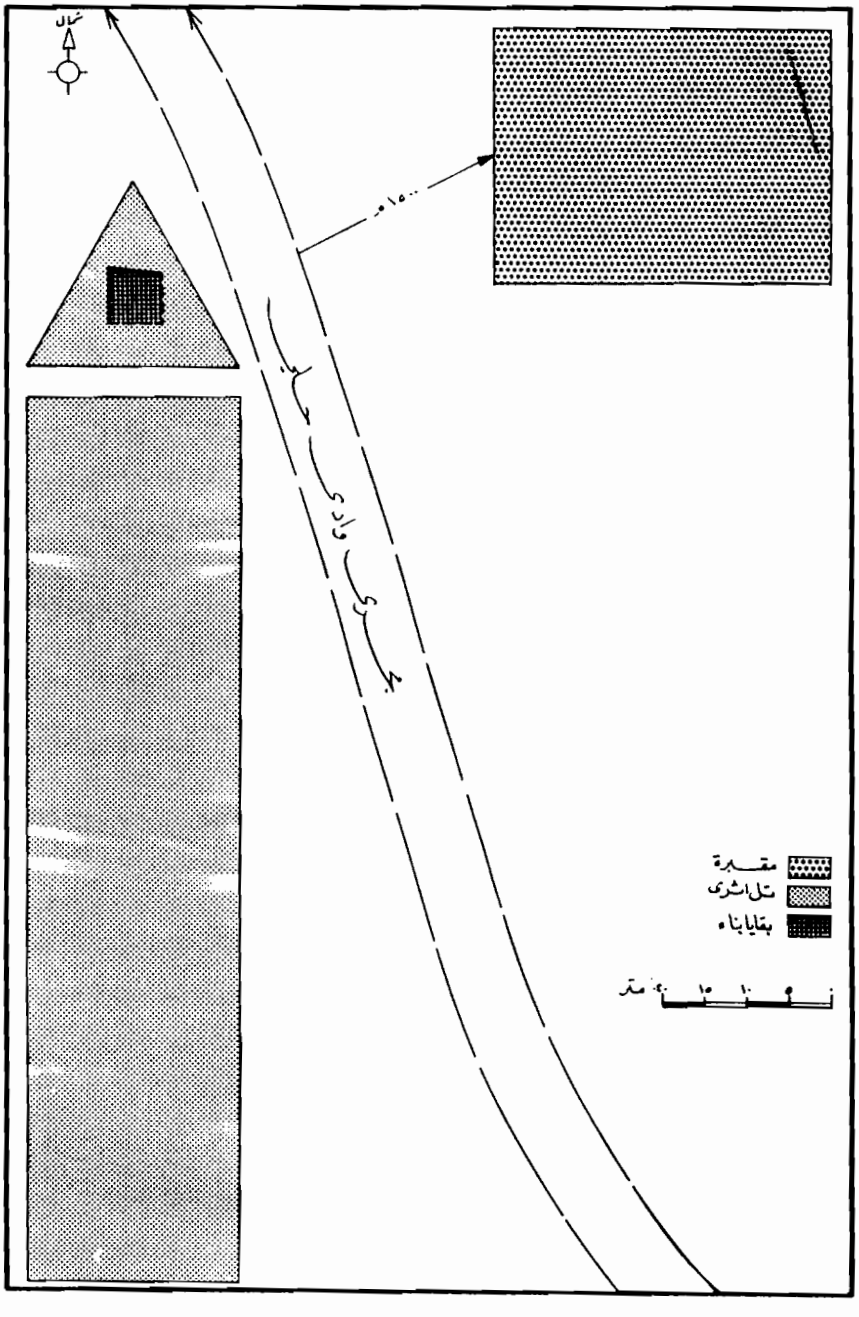

القوز (قرية الشيخ علي)

تقع قرية القوز أو قوز الشاهد، كما يطلق عليه الآن، إلى الشرق من مدينة كياد، المعروفة في الوقت الحاضر، بحوالي أربعة كيلومترات[٨٣]. وتطلق كلمة القوز في تهامة على الكثيب الرملي المرتفع، وهو تعريف صحيح يرد كثيرا في معاجم اللغة العربية. فالجوهري (ت٣٩٣/١٠٠٢)، على سبيل المثال، يذكر أن القوز هو الكثيب الصغير والجمع أقواز وقيزان، ويستشهد بقول ذي الرمة:

إلى ظعن يقرضن أقواز مشرف شمالا وعن أيمانهن الفوارس[٨٤]

أما الفيروز أبادي (ت٨١٧/١٤١٥)، فيعرّف القوز بأنه المستدير من الرمل، والكثيب المشرف والجمع أقواز وقيزان وأقاويز. ويذكر ابن منظور أن القوز من الرمل، صغير مستدير تشبّه به أرداف النساء[٨٥].

وينقل الزبيدي (ت١٢٠٥/١٧٩٠) عن الأزهري قوله: «وسماعي عن العرب في القوز أنه الكثيب المشرف، وفي الحديث «محمد في الدهم بهذا القوز» وهو العالي من الرمل كأنه جبل. ومنه حديث أم زرع «زوجي لحم جمل غث على قوز وعث»[٨٦].

وجمع كلمة القوز، إضافة إلى ما تقدم، أقاوز من ذلك قول الشاعر:

ومخلّدات باللّجين كأنما أعجازهنّ أقاوز الكثبان[٨٧].

ويذكر الزبيدي أيضا، بأن هذا الجمع «أقاوز» لم يعجب ابن سيده (ت٤٥٨/١٠٦٦)، وإنما يفضل أقاويز، وينقل عنه قوله: «هكذا حكى أهل اللغة: أقاوز، وعندى أنه أقاويز، وأن الشاعر احتاج فحذف ضرورة»[٨٨]. ويذكر ابن منظور (ت٧١١/١٣١١) أن جمع القوز في الكثير «قيزان»، من ذلك قول الشاعر:

لمّا رأى الرمل وقيزان الغضى والبقر المُلَمَّعَات بالشّوى
بكى وقال هل ترون ما أرى؟[٨٩]

وهذا الجمع «قيزان» هو الشائع في لهجة سكان هذا الجزء من تهامة، حيث تكثر القيزان، وتتعدد مواقعها، مما اضطرهم إلى إضافة كلمة القوز إلى قبيلة، أو مكان تمييزا لبعضها عن البعض الآخر، من ذلك قوز بلعير، وهو أشهرها في الوقت الحاضر، وأكثرها كثافة سكانية[٩٠]، وقوز ابن عَطَّاف، وقوز حِدْرَه، وقوز حُمَار، وقوز المَتْن[٩١]، وقوز الشَّاهِد وغيرها.

ولكن أي المواقع مما تقدم يعنيه هذا البحث؟ وللاجابة على هذا السؤال، يحسن استعراض الاشارات البسيطة التي وردت في المصادر المتيسرة عن هذا القوز، فعلى سبيل المثال، يقول ابن الأهدل: «ومن الناحية (أي من ناحية حلي) قرية القوز بقاف مفتوحة ثم واو ساكنة ثم زاي معجمة، قرية الشيخ العالم المكاشف، نور الدين علي بن عبدالله الطواشي»[٩٢].

ويفهم أيضا من بعض الاشارات التي وردت عند مؤرخَي مكة، تقي الدين الفاسي (١٤٣٨/٨٣٢)، ونجم الدين بن فهد (٨٨٥/ ١٤٨٠)، أن بني الطواشي، السابق الذكر، كانوا يسكنون قرية القوز في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد[٩٣]. ومن هنا يتضح أن القوز الذي تعنيه هذه الدراسة، هو القرية التي كانت تسكنها أسرة الشيخ علي[٩٤]. فأين تقع هذه القرية، وهل هي ضمن حدود حلي أم أنها خلاف ذلك؟ ولا شك أنها لارتباطها بهذه الأسرة، تقع في إحدى ضواحي حلي، لأن الاعتقاد السائد الذي لا يختلف فيه اثنان من السكان المحليين، هو أن الشيخ علي وأسرته كانوا يسكنون بلدة حلي[٩٥]. ويؤيد هذا الاعتقاد بعض الاشارات التي ترد في المصادر المتيسرة، من ذلك قول ابن الأهدل: أن قرية القوز بناحية حلي كما تقدم. وقوله: أن الشيخ السني، أحد أحفاد الشيخ علي، حج في سنة ١٤٣٣/٨٣٧ ـ ٤ بقافلة كبيرة من حلي، وحج معه جماعات من أهله[٩٦]. أما الفاسي، فكان أكثر توضيحا من سابقه، عندما يذكر أن «الشيخ علي بن عبدالله الطواشي مدفون بالقوز ظاهر حلي»[٩٧].

ومن هنا يتضح بأن قرية القوز، التي كانت تسكنها أسرة الشيخ علي، إنما تقع في اقليم حلي، ويعطي نص الفاسي أيضا دلالة طبيعية على موقع القوز، فهو يصفه بأنه ظاهر حلي، وكلمة ظاهر في اللغة تعني عكس الباطن، فإذا كانت مدينة حلي

قديم تقع في بطن أو باطن الوادي، فإن القوز تقع في ظاهره، أي في طرف الوادي. كما أن ظواهر الأرض، تعني المرتفع والمشرف منها، ومن ذلك قول الشاعر:

فـحـللت مـعـتـلج الـبـطاح وحـلّ غـيـرك بـالـظّواهـر[٩٨]

وهذا ينطبق على الطبيعة التي يحتلها قوز الشاهد في الوقت الحاضر، فهو يقع على ربوة بظاهر حلي، تطل على بقعة من أخصب بقاع وادي حلي من الناحية الجنوبية. وإلى الجنوب من موقع قوز الشاهد، يمتد منبسط من الأرض تتخلله بعض الصخور البركانية المتناثرة التي تشكل الأطراف الشمالية لحرة كنانة، تلك الحرة التي يتجاوز امتدادها مدينة البرك الواقعة إلى الجنوب من حلي بحوالي ٦٠ كيلو مترا[٩٩]. وإلى الشرق من موقع القوز بعض البيوتات المتناثرة التي تشكل الطرف الغربي لمراوح قبيلة الأحامرة التي تمتد في انتشارها شرقا حتى تصل إلى حدود قبيلتي العمور، ثم ربيعة الطحاحين[١٠٠]. ويعتقد بأن قبيلة الأحامرة، تعود في أصولها إلى قبيلة باللحمر العسيرية التي تسكن في قرى وادي عبل ووادي صبح، وإنما قدمت إلى حلي منذ مدة طويلة، واستوطنت بالمنطقة الواقعة شرقي مدينة كياد، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من التركيب السكاني لوادي حلي[١٠١]. ومن القرى التي تسكنها هذه القبيلة في الوقت الحاضر: العينة وعنتر، والزيارة، وغيرها من القرى والمسميات السكانية الصغيرة التي تمتد بين موقع قوز الشاهد وتحصينات خريّان التي سيأتي الحديث عنها فيما بعد.

والمسافة بين قرية قوز الشاهد، كما سبقت الاشارة إلى ذلك، وبين كياد، المدينة المعروفة في الوقت الحاضر، تقدر بحوالي أربعة كيلومترات، وهي تقع إلى الشرق من الثانية، وكانت آهلة بالسكان حتى وقت قريب، ولكن أهلها هجروها إلى غيرها من المواقع الحلوية المجاورة. وكان آخر من هجرها منهم رجل مسن هو الشيخ علي بن موسى الشيخي، لعله من أحفاد الطواشي الذي سيأتي الحديث عنه، واستوطن بقرية كياد المذكورة. غير أن هذا الموقع لم يلبث أن توافد عليه، في الوقت الحاضر، بعض الساكنين، وغالبيتهم من سكان الصُلْب، من قرى ساحل حلي التي سبقت الاشارة إليها، ولكن هؤلاء الساكنين الجدد، لا يشكلون، على أية حال، إلا قلة قليلة من سكان منطقة شرق كياد.

أهمية قوز الشاهد التاريخية

تعود أهمية قوز الشاهد التاريخية إلى أنها كانت قرية الشيخ علي بن عبدالله الطواشي ومقر أسرته من بعده، تلك الأسرة التي اشتهرت بالعلم والتصوف بجانب الصلاح والتقوى، مما أكسبها احترام الناس العقلاء من أفراد الأسرة الحرامية الحاكمة[١٠٢]. ولكن هذه المكانة، من ناحية أخرى، جعلت اعتقاد العوام في بعض أفراد هذه الأسرة، يصل إلى درجة الغلو، فأخذوا في التقرب إليهم وغالوا في حبهم، ونسبوا إليهم بجهلهم بعض الكرامات والمعجزات، وغيرها من الخوارق المألوفة في ذلك العصر، ولكنها في مفهوم هذا العصر الذي نعيشه، لا تخرج عن دائرة الخرافات[١٠٣].

ولما كانت أسرة بني الطواشي، من الأسر القليلة جدا، إن لم تكن من الأسر النادرة في هذا الاقليم، التي يرد ذكرها في المصادر العربية التي تتناول موضوع حلي، فلا بأس من إيراد نبذة مختصرة عنها، وعن المشهورين من أفرادها. لأن هذه النبذ التي يراعي اقتناصها كلما وقعت عليها العين، ستساعد بلا شك على تجميع ما تبعثر من تاريخ هذا الجزء من تهامة، وبالتالي، ستسهل مهمة الدارسين الذين سيقتفون آثار هذا العمل المتواضع عن طريق القيام بدراسات جادة تتناول موضوعات مختلفة من تراث تهامة الشمالية المندثر.

تنتسب أسرة بني الطواشي إلى الأزد، القبيلة العربية المشهورة التي كانت تنتشر قبل الاسلام في اليمن وعمان والسراة[١٠٤]. وأصلهم من مدينة عثر الاسلامية التي كانت تقع على ساحل البحر الأحمر في مصب وادي بيش، إلى الشمال من مدينة جيزان بحوالي ٥٠ كم[١٠٥]. والظاهر أن أجداد أسرة الطواشي هجروا هذه المدينة بعد أن آل إليها الخراب، واستوطنوا في مناطق متفرقة منها: الشرجة، الواقعة على ساحل البحر الأحمر بالقرب من الحدود الحالية بين المملكة العربية السعودية واليمن[١٠٦].

قدم جد هذه الأسرة، الشيخ علي بن عبدالله الطواشي، إلى حلي في أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الهجريين/ الثالث عشر أو الرابع عشر للميلاد، واستوطن قرية القوز، التي تعرف اليوم باسم قوز الشاهد كما تقدم، وهناك اشتغل

بالعلم مع انصراف كلي إلى العبادة والتنسك والزهد. ترجم له ابن الأهدل الذي ينعته ـ كما سلف ـ بنعوت منها: «الشيخ العالم المكاشف، نور الدين، علي بن عبدالله الطواشي لقبا، الأزدي نسبا، الشافعي مذهبا»[١٠٧]. ويقول أيضا أن «الشيخ عبدالله اليافعي أخذ عنه التصوف، وله فيه حسن اعتقاد عظيم، على عادته في الصوفية»[١٠٨]. ويذكر الفاسي بأن الطواشي كان «شيخ الشيخ عبدالله اليافعي»[١٠٩]. وممن ترجم له تلميذه ومعاصره اليافعي (٧٦٨/١٣٦٦ ـ ٧) الذي يشير إلى أن الشيخ علي اشتغل بالفقة وبفنون أخرى كثيرة حتى علم الطب[١١٠]. ويذكر أيضا أنه كان الغالب عليه التنسك، وحب الخلوات، وكان يسافر مع اخوته وولده للتجارات، فإذا دخلوا سوقا دخل هو مسجدا للعبادة، وكان ملازما للذكر والتلاوة حتى ملأ قلبه من نور قدسه[١١١]. ثم يفيض اليافعي في ذكر أستاذه ووصف حاله منذ بدايته إلى تاريخ وفاته. وله في مدحه قصائد، منها هذه الأبيات:

تخلفت يوم البين عنهم بجثتي ... وراحوا بقلبي يوم بانوا أحبتي
ونـاديت والركب اليماني راحل ... وعندي مقيم في الحشاحر لوعتي
خليليَّ سيرا بَلِّغَالي تحيتي ... إلى عند سكان الربوع البهية
إذا جئتما حلي ابن يعقوب يَمِّنا ... قليلا إلى حيث السعادة حلت
وبثا غرامي في الربوع وقبلا ... رباها وصبا دمعة بعد دمعة
سقى الله أياما خلوت بسيد ... بها هل تراها سامحات بعودة
له في معالي المجد منزل سؤدد ... به طربت بيض المعالي وغنت[١١٢]

ويذكر اليافعي أن الشيخ علي وضع مصنفا في الحقيقة، فخبأه قبل أن يقف عليه ويراه، خشية ألا يفهم بعض معناه[١١٣]. ولكن ابن الأهدل الذي يورد هذه الرواية أيضا، أنكر على اليافعي ما ذهب إليه من إخفاء الشيخ لمصنفه في الحقيقة خشية ألا يفهم بعض معناه، وعلل إخفاء هذا المصنف بقوله «ولكن يحتمل عندي أن الطواشي لما صحبه اليافعي، خشي أن يطلع في كلامه على شطح، أو ظهر له ذلك في كلام نفسه، فأخفاه وأهمله»[١١٤].

ومهما يكن أمر هذا المصنف، فإن الشيخ علي كان إلى جانب علمه يقرض الشعر، ويذكر أن له فيه نظم حسن، من ذلك قوله:

أسفي من هجر سكان الحمى ... تركوني من هواهم في عمى
كلما قدمت يوما قدما ... نحوهم أخرت يوما قدما
صرت مما فاتني من وصلهم ... أقرع السن عليهم ندما
ليتهم إذ هجروا لم يتلفوا ... بالضنا صبا معنى مغرما
قد جعلت الدمع مني شافعا ... ورجائي وانكساري سلما
فعسى الدهر بوصل منهم ... يسعف الصب ويشفي السقما[115]

وله أيضا:

ببابك عبد واقف متضرع ... مقل فقير سائل متطلع
حزين كئيب من جلالك مطرق ... ذليل عليل قلبه يتقطع
أنا الضارع المسكين ممدودة يدي ... إليك فمالي في سوائك مطمع
أغثني أغثني من علاك بنظرة ... إليك فقلبي مستهام مفجع
ولا تبتليني بالبعاد فإنه ... أشد بلاء العاشقين وأوجع
إذا رجع القصاد منك بسؤلهم ... فيا ليت شعري كيف عبدك يرجع[116]

توفي الشيخ علي في سنة ١٣٤٧/٧٤٨[117]. ورغم الاشارة الواضحة في المصادر التي تناولت سيرته، بأنه دفن في قرية القوز، إلا أن السكان المحليين يعتقدون بأنه دفن بالبيضين، قرية المشايخ المعروفة في وادي حلي، وأن قبره كان معروفا هناك[118].

وخلفه في زاويته ابنه السني، الذي يقول عنه ابن الأهدل أنه «كان سنيا لفظا ومعنى، صاحب عبادة وكرامات واطعام، وله أخ آخر يحكى عنه الخير»[119]. ولعل هذا الأخ، هو أبو بكر بن علي بن عبدالله الطواشي، ورد إسمه في ترجمة ابنه أحمد الذي عاش في مكة كما سيأتي، وكذلك ورد إسمه في ترجمة زوجته أم كلثوم بنت البرهان ابراهيم بن أحمد بن محمد الأردبيلي (ت١٤١١/٨١٤). يذكر الفاسي أن الشيخ أبابكر بن الشيخ علي تزوجها بعد أن مات زوجها السابق من آل الطبري، وأنها انجبت منه ابنا، هو أحمد المذكور[120]. ويصفه الشرجي (ت١٤٨٨/٨٩٣) بأنه كان على جانب من التقوى والصلاح[121]. ولم يرد في المصادر المتيسرة شيئا، خلاف ما ذكر، عن سيرة أبي بكر هذا، ولا عن تاريخ وفاته، والظاهر أنه لم يتوف في مكة، وإنما توفي في حلي التي من المحتمل أنه عاد إليها في آخر حياته.

أما ابنه أحمد، فقد ولد في مكة سنة ١٣٦٢/٧٦٥ ـ ٣، وأقام بها على ما يبدو حتى توفي في سنة ١٤٢٤/٨٢٧. أورد له مؤرخ مكة، تقي الدين الفاسي، ترجمة إضافية يقول فيها: «أحمد بن أبي بكر بن علي بن عبدالله المعروف بالطواشي، يلقب بشهاب الدين. كان يتعبد ويتصوف، ويتقشف في لباسه، ويتواضع، فمال إليه لذلك جماعة من الناس واعتقدوه، وراعوا في اعتقاده علو مرتبة جده الولي العارف الشيخ علي بن عبدالله الطواشي. . . . وأمه أم كلثوم بنت برهان الدين الأردبيلي، واستفاد منها عقارا بمكة، وبها مات في يوم الجمعة سابع عشر شعبان المكرم سنة ٨٢٧هـ، وصلي عليه عقب صلاة الجمعة بالمسجد الحرام، ودفن بالشبيكة أسفل مكة، بوصية منه»[١٢٢].

ومن أبناء الشيخ الطواشي، على ما يروي صاحب كتاب طبقات الخواص، عبدالله بن علي الذي يوصف بأنه كان من أولياء الله الصالحين، وأنه كانت تقوم بينه وبين الزيدية من أهل بلده مكالمة ومجادلة، يخرج منها في الغالب منتصرا[١٢٣]. وتجدر الاشارة إلى أن فقهاء حلي كانوا في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على مذهب الزيدية. وقد عرفوا ببني الوكيل، واشتهر منهم أحمد بن علي بن حسن بن عطية بن الوكيل، تفقه على علي بن ابراهيم البجلي، وكان حيا في سنة ١٣٢١/٧٢١[١٢٤]. وهؤلاء كانوا على خلاف مع بني الطواشي الذين كانوا ـ كما سبقت الاشارة ـ يدينون بالمذهب السني ويقلدون الامام الشافعي.

ويعتقد بأنه كان للشيخ علي، ابن رابع، اسمه ابراهيم، وكان مقيما بالقوز. وخلف ابراهيم بدوره ابنا اسمه حسن، كان حيا في سنة ١٤٣٣/٨٣٧ ـ ٤[١٢٥]. ومن معاصري حسن هذا ابن عمه محمد بن ابراهيم بن محمد السني بن علي بن عبدالله الطواشي، والظاهر أن الأخير كان عميد أسرة بني الطواشي، وكان قائما بأمر زاوية جده علي المذكور في سنة ١٤٣٣/٨٣٧ ـ ٤[١٢٦].

وفي سنة ١٤٥٢/٨٥٦، يعتقد بأن زعامة أسرة بني الطواشي، كانت من نصيب أحد أحفاده، وهو محمد السني بن يحيى بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله الطواشي، فقد ذكر أنه توسط في النزاع الذي نشب بين أفراد الأسرة الحرامية الحاكمة في حلي، وبصورة خاصة، بين موسى بن محمد الحرامي الذي كان

مدعوما من شريف مكة بركات بن محمد، وبين أخيه دريب. والظاهر أن الشيخ محمد السني كان موضع ثقة أمراء حلي، حتى أنهم كانوا يودعون عنده أموالهم، حسبما تصوره الرواية التاريخية التي تتعرض لاحداث النزاع المشار إليه[١٢٧].

وعموما، فإن الشيخ علي الطواشي ترك، على ما يبدو، ذرية كبيرة في قرية القوز، وهم كما يذكر ابن الأهدل «باقون بالزاوية والتربة. . . . ولهم وجاهة عند العرب والأشراف ، وأخلاق جميلة. زادهم الله من فضله آمين»[١٢٨].

تحصينات خريان

توجد على طرف الحرة الملامس لحافة وادي حلي الصخرية من الناحية الجنوبية، بعض التحصينات التي يعتقد بأنها تعود إلى العصور الاسلامية. وهي تقع في المكان المعروف اليوم باسم خريان، على بعد حوالي عشرة كيلومترات إلى الشرق من قرية القوز التي سبق الحديث عنها، وعلى بعد حوالي أربعة عشر كيلومترا إلى الشرق أيضا من مدينة كياد السابقة الذكر، ومقر أحفاد الأمراء الحراميين ومواليهم[١٢٩]. وبالقرب من هذه التحصينات من الناحية الغربية، تقع قرية العينة التي تقطن بها عشيرة الأحامرة المشار إليها سابقا. وحول هذا الموقع قليلا إلى الجنوب والجنوب الشرقي، توجد أعداد قليلة من المساكن المتفرقة العائدة لبعض أفراد قبيلة الصوالحة التي تسكن بصورة رئيسة في وادي شفقة، إلى الجنوب من وادي حلي[١٣٠].

تقع هذه التحصينات على ربوة مرتفعة من حرة كنانة، وهي تطل من الشمال، في منظر خلاب، على فرشة وادي حلي الخصيب، وبصورة خاصة، الأراضي الزراعية المعروفة باسم «أمهات أبي السلم التي تجاور الموقع من الشمال»[١٣١]. وتشكل حافة وادي حلي الصخرية، بالنسبة لهذه التحصينات، مسلكا صعبا للوصول إليها من تلك الجهة. أما من الجهات الثلاث الأخرى، الغرب والشرق والجنوب، فإن الحرة بصخورها الكبيرة الناتئة، وحصانتها الطبيعية، تجعل مهمة الوصول إلى الموقع في غاية الصعوبة والمشقة.

تتكون هذه التحصينات من فناء كبير، رباعي الشكل، أضلاعه مختلفة في الطول، يبلغ طول الضلع الشمالي منها ١٤٧٫٣٠ مترا، والجنوبي ١٥٧ مترا،

والشرقي ١٢٤ مترا، والغربي ١٥٥ مترا[١٣٢]. وتنتهي هذه الأضلاع في الزوايا الثلاث، الشمالية الشرقية، والجنوبية الشرقية، والجنوبية الغربية، بثلاثة أبراج قوية، قطر كل منهما حوالي ستة أمتار[١٣٣]. وتقع البوابة الرئيسة في ربع الجدار الشمالي الغربي، وهي صغيرة يصعد إليها بسلم من الداخل. وتقع على يسار البوابة غرفة صغيرة، وعلى يمينها غرفتان أخريان صغيرتان، خلفهما سلم ربما كان يوصل إلى سطوح هذه الغرف والمرافق القريبة منها. ويعتقد بأن أعلى البوابة، كان ينتهي بقوس أو أكثر. لأنه عثر بين الركام على بعض أجزاء عقود هذه الأقواس، ولم يكن في الاستطاعة تفحص تفصيلات هذه الغرف أو البوابة من أعلى بسبب كثرة الركام، وصعوبة المشي عليه خوفا من حدوث انهيارات. وقد كاد هذا أن يحدث للدليل المرافق في رحلتي الميدانية، لولا أن تداركه أحد الأهالي الذين جاءوا للتفرج على هذه المهمة الغريبة عليهم.

وتقع البئر في طرف الوادي، وهي على بعد حوالي ٧٠ مترا إلى الشمال الغربي من الموقع. وهي كما قيل قديمة قدم هذه التحصينات، ويعتقد بأن هناك بئراً أو أكثر داخل الفناء، لأن وجوده على حافة وادي حلي تجعل حفر الآبار للحصول على المياه مهمة ميسورة.

وإلى الشمال من طرف التحصينات الشمالية الغربية بحوالي عشرين مترا، توجد في المنخفض بضعة أعداد من المواقد التي كان يصنع فيها أو يستخرج بواسطتها المهل والقطران. وهذه الحرفة حيوية ورائجة في منطقة تهامة عامة، وفي حلي بصورة خاصة بسبب استخداماته المتعددة التي يأتي في مقدمتها الاستفادة من القطران لطلاء الأواني والأدوات الخشبية كنوع من الزينة، ولحفظها من التسوس والعفن. أما المهل فيستخدم كمادة حيوية لمعالجة الجرب، ومكافحة القمل وغيره من الحشرات التي تداهم الانسان والحيوان على حد سواء[١٣٤].

ورغم انتشار هذا النوع من المواقد في وادي حلي في العصر الحاضر، إلا أن هذه المجموعة ربما كانت مرفقا حيويا من المرافق الملحقة بهذه التحصينات، لأن منظرها المهجور، وعدم وجود أي أثر لاستعمالها في الوقت الحاضر، يدلان على قدمها. إضافة إلى ما يعتقده السكان المحليون من أن هذه المواقد تعود إلى زمن بني

هلال، القبيلة العربية المشهورة التي سبقت الاشارة إلى أن سكان هذه المنطقة ينسبون إليها كل قديم مهجور.

وجميع الأبراج والفناء والغرف الملحقة به، مبنية من الصخور البركانية التي جلبت من الحرة المجاورة، ثم شذبت أطرافها، واستخدمت بصورة رئيسة في بناء هذه التحصينات. ويبدو أن مادة الجص قد استخدمت في لحام المداميك، وفي تكسية الجدران، فقد لوحظ وجود هذه المادة على نطاق واسع في جميع الأبنية، ولاسيما في البرج الذي يقع على الزاوية الجنوبية الغربية.

وتتضح قوة البناء من نوعية الصخر ومن ضخامة الجدران التي يبلغ عرضها حوالي ١ ½ في الأفنية، وما يزيد على المترين في الأبراج. وقد تعرضت جميع هذه الأبنية للخراب والسقوط، وربما حملت بعض أحجارها واستخدمت في أمكنة أخرى على مر العصور. ومع هذا فلا تزال بعض بقايا جدرانها قائمة، ويصل أقصى ارتفاعها إلى حوالي ثلاثة أمتار، والبعض الآخر متهدم تغطيه أكوام هائلة من الأنقاض[١٣٥].

ولا توجد في الساحة الواسعةالتي بداخل الفناء آثار تدلل على وجود أبنية فيها، ويعتقد بأن هذه الساحة ربما كانت تضم بعض الأبنية، ولكن من المحتمل أنها من نوع البناء السائد في تهامة الذي يتكون بصورة رئيسة من الخشب والحشائش وأعواد بعض النباتات وهذا النوع من البناء لا يترك بطبيعة الحال آثارا تدوم لمدة طويلة. كما وجد بداخل الفناء بعض كسر الفخار والطوب الأحمر، ولكن بنسبة أقل مما هي عليه في موقع حلي قديم الذي يعتقد بأنه يمثل موقع مدينة حلي الرئيسة، المعروفة باسم «حلي ابن يعقوب» كما سبقت الاشارة إليها فيما تقدم.

وليس في المصادر المتيسرة ما يشير إلى تاريخ تأسيس هذه التحصينات ولا إلى مؤسسها، ومن المعتقد أن تأسيسها يعود إلى الفترة التي بدأت منذ أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، عندما شب النزاع بين الأسرة الحرامية الحاكمة، وبين أخوالهم بني كنانة الذين أخذ أمرهم يستفحل بساحل حلي، وأصبحوا منذ تلك الفترة يشكلون خطرا على بني عمومتهم الحراميين[١٣٦]. فليس من المستبعد أن يعمد الحراميون إلى بناء موقع حصين، خارج مدينة حلي ابن يعقوب،

شكل (٥) تحصينات خربيان

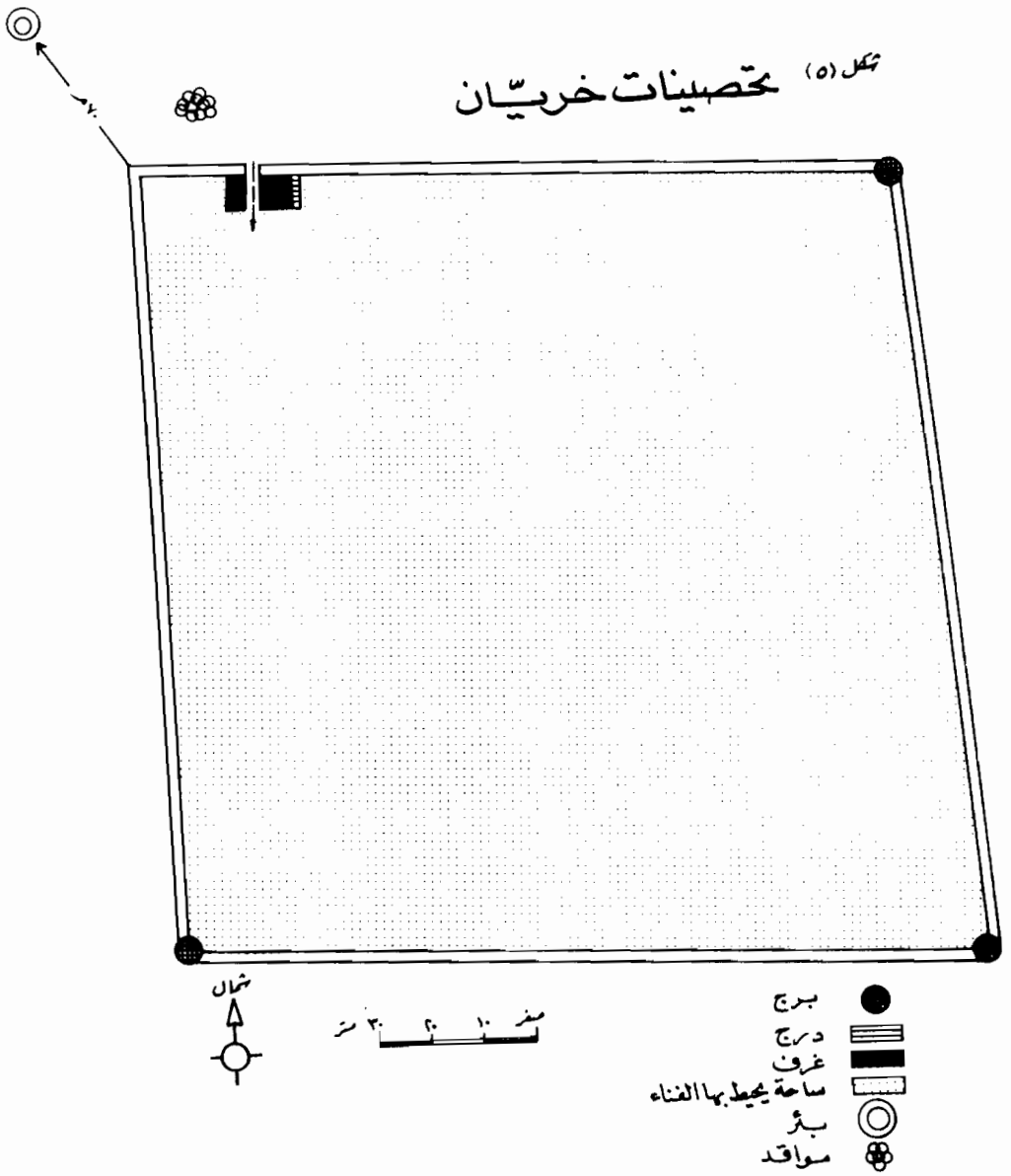

يلجأون إليه عندما تشتد شوكة أعدائهم، ويعملون على إخراجهم من مدينة حلي، وقد وجدوا في هذه المنطقة الحصينة والبعيدة عن نفوذ بني كنانة، مكانا مناسبا لاقامة هذه التحصينات. ويفسر هذا الاعتقاد، وجود هذه التحصينات في منطقة نفوذ بني حرام ومواليهم حتى العصر الحاضر.

كما أن هناك احتمال آخر، وهو أن تأسيس هذه التحصينات يعود إلى مجهودات الشريف حسن بن عجلان، أمير مكة، في تأمين الحماية لحلفائه بني حرام، ولقواته المرابطة في حلي ضد هجمات الكنانيين. ويؤيد هذا الرأي ما تورده بعض المصادر من أن الشريف حسن بن عجلان أمر حاكم جدة، جابر بن عبدالله الحراشي (ت٨١٦/١٤١٣)، وكان ماهرا في بناء المدن وتحصينها[١٣٧]، بالتوجه إلى حلي في حوالي سنة (٨٠٦/١٤٠٣ ـ ٤)، حيث عمل على بناء حصين فيها، لكي يتحصن فيه أصحاب الشريف حسن، ومن انضم إليهم. وتشير روايات المؤرخين إلى أن الحراشي حفر حول هذا المكان خندقا[١٣٨]. فليس من المستبعد أن تكون هذ التحصينات هي التي قام الحراشي ببنائها في الفترة المشار إليها.

جزيرة جبل الصبايا

يزخر الشاطيء المقابل لحلي من البحر الأحمر، أو بحر الحلاونة كما يسميه ابن ماجد[١٣٩]، بعدد كبير من الجزر الصغيرة والكبيرة غير الآهلة بالسكان. والجزيرة الوحيدة التي كانت مأهولة من بين هذه الجزر، هي ما تعرف باسم جبل الصبايا[١٤٠]. وهي تقع في المياه الاقليمية للملكة العربية السعودية، وعلى بعد حوالي عشرين كيلومترا إلى الغرب من ميناء حلي المعروف ـ كما تقدم ـ باسم عازب أو الرديني. وهذه المسافة تقطعها الزوارق الآلية الصغيرة، المعروفة محليا باسم «الزعائم» (مفردها زعيمة) في مدة تتراوح بين ٣٥ ـ ٤٥ دقيقة بحسب هدوء البحر واتجاهات الرياح. ولا تعرف بالضبط أسباب هذه التسمية، ولعلها جاءت من كلمة الصبايا، أو الصوابي التي يطلقها السكان المحليون على الأشياء التي يحملها البحر من أخشاب ومواد أخرى مختلفة القيمة، ثم يلفظها إلى الشواطيء، فيلتقطها هؤلاء السكان بغرض بيعها، أو الاستفادة منها بطريقة أو بأخرى. ولا يعتقد بأن لهذا

المفهوم السكاني المحلي أصل في اللغة العربية، ولعل له علاقة بالريح المعروفة بإسم ريح الصبا التي تساعد على حمل هذه المواد إلى السواحل، ومن ثم تقذفها على الشطوط ليلتقطها محترفو هذه المهنة. أما المفهوم الذي يتبادر إلى الذهن لكلمة «الصبايا» بمعنى الجواري الحسان[١٤١]، وما يمكن أن يقال، رجما بالغيب، بأن الجزيرة سميت بهذا الاسم نسبة إلى هؤلاء الجواري. فلا شك أن هذا لا ينطبق عليها في الوقت الحاضر، لأنها مهجورة ولا يوجد بها أي دليل قاطع يؤيد هذه التسمية، ومع هذا فمن المحتمل أنها اشتهرت بالجواري الحسان (الصبايا) في فترة ازدهارها، واليهنَّ نسبت، وربما كانت سوقا لتجارة الرقيق المجلوب من موانيء شرق أفريقيا، مثلها مثل غيرها من موانيء وجزر البحر الأحمر القريبة من السواحل الغربية للجزيرة العربية[١٤٢]. ولم يرد إسم جزيرة جبل الصبايا في المصادر المتيسرة، والاشارات اليتيمة عن هذه الجزيرة ينفرد بها البحار العربي الشهير أحمد بن ماجد (ت٩٠٤/١٤٩٨) الذي يذكرها في عدة مواضع، ففي حديثه عن اكتشاف شعاب البحر الأحمر المجاورة لجبل الصبايا يقول ابن ماجد «وحدثني من أثق به: أنني طلعت من الفصليّات، فلم أزل كلما غيبت شعبا أتاني الآخر، وكلما خلفته كشفت الآخر، إلى أن كشفت جبل الصبايا، وعلى مباحره شعبان عاريان. فآخر ما كان منها شعب عيسى، وهو متوسط في الطريق..»[١٤٣]. ويقول أيضاً «وأما بر العرب، فليس فيه طحال إلا طحال المرير، وهي يماني جبل الصبايا للباحة، شاميها للبر المعصّبة، ويمانيها للبر الرقاق[١٤٤]. ثم يمضي ابن ماجد في ذكر الجزر المجاورة لجبل الصبايا، مثل عرق القماري، الجزيرة المشهورة عند أهل القنفذة، في الوقت الحاضر، بإسم «أم القماري»[١٤٥]، والتي يذكر أنها تقع إلى الشمال من جبل الصبايا[١٤٦]. وكذلك طحال المرير الواقعة، كما يقول ابن ماجد «على مباحر جبل الصبايا لليمن قليلا»[١٤٧]. أما جزيرة ألم، فيذكر أنها «بحري (أي غربي) جبل الصبايا بالسواء»[١٤٨]. ويسمي ابن ماجد أيضا الجزء المحيط بجبل الصبايا من البحر الأحمر إلى ساحل حلي باسم «بحر الحلاونة»، كما سبقت الاشارة إلى ذلك. وهذه التسمية نسبة إلى سكان حلي الذين يعرفون بهذا الاسم «الحلاونة» حتى العصر الحاضر[١٤٩].

وهكذا يتضح أن جزيرة جبل الصبايا كانت من الشهرة في عهد ابن ماجد بحيث كان يحرص على ربط مواقع الجزر والشعاب المتناثرة في ذلك الجزء من البحر

الأحمر بموقع جبل الصبايا. ويبدو أيضا أن ابن ماجد كان كثير التردد على هذه الجزيرة، يتضح ذلك من سياق حديثه عنها واستخدام عبارة «في سنة من السنين»[١٥٠].

وهذه الجزيرة، كما يتضح من اسمها، عبارة عن جبل قليل الارتفاع، يتكون بصورة رئيسة من شعاب مرجانية صعبة الاجتياز إلا من منافذ محدودة[١٥١]. وهي تحيط بالجزيرة مما يلي البحر، مشكلة سورا حصينا للمواقع الداخلية. وهذه الشعاب المرجانية تأخذ في الانحدار التدريجي إلى الداخل، تاركة في الوسط منطقة طينية مستوية، صالحة للزراعة، تتخللها المنخفضات التي تكون أودية قصيرة المدى، أشهرها: وادي الكعْد، ووادي النيل، إلى الشمال الغربي من الجزيرة، إضافة إلى واد آخر، لا يعرف اسمه، يقع إلى الجنوب الشرقي، ويصب في المنطقة التي يعتقد بأنها كانت تشكل المرسى الرئيسي للجزيرة[١٥٢].

تتوفر في هذه الجزيرة كثير من العوامل المساعدة على الحياة والاستيطان، فقد لوحظ أن فيها أراض زراعية خصبة، تجود بجميع المحصولات الزراعية المتوفرة في تهامة، وتنبت فيها جميع الأشجار التي توجد في الساحل المقابل لها في وادي حلي. وفيها بئر غزيرة عذبة، لا يزال ماؤها سائغا للشرب حتى اليوم[١٥٣]. وشواطئها غنية بمختلف أنواع الأسماك المشهورة في البحر الأحمر. وهي فوق ذلك، من الناحية الجغرافية، تقع بالقرب من الخط الملاحي العالمي الذي يربط الشرق بالغرب عبر البحر الأحمر. وفيها أماكن صالحة للرسو، مما يعتقد بأنها كانت محطة تستخدمها السفن التجارية المارة بهذا الخط إبان عصور ازدهاره. كل هذه العوامل مجتمعة ساعدت على الاستيطان والحياة في جزيرة جبل الصبايا وهيأتها لأن تكون هي الجزيرة الوحيدة المأهولة من بين جزر المنطقة رغم صغر مساحتها، إذ لا تتجاوز سبعة كيلومترات في الطول وحوالي أربعة كيلومترات في العرض. وهي مساحة صغيرة عند مقارنتها، على سبيل المثال، بمساحة جزيرة قُطُوْع الواقعة جنوب شرق جزيرة جبل الصبايا بقليل، والتي تفتقر دون شك إلى العوامل المتوفرة في هذه الجزيرة، موضوع الدراسة[١٥٤].

يتضح من مسح جزيرة جبل الصبايا أن الحياة فيها كانت تتركز في جنوب

شرق الموقع، أي في الجزء المواجه لحلي من ناحية المرسى. فقد عثر في هذا الجزء على مواقع السكن والمقابر وغيرها من الأمور ذات الدلالة الأكيدة على حياة الاستيطان هناك[١٥٥]. ويأتي في أول هذه الأدلة الحي السكني، وهو الحي الوحيد الذي تم اكتشافه حتى الآن في الجزيرة، ويقع على ربوة في وسط الوادي، إلى الشمال الشرقي من المرسى بحوالي ٥٠ مترا. وهو عبارة عن تل أثري، خماسي الشكل، تبلغ مساحته حوالي ١٢٠٠ مترا مربعا.

لا توجد في هذا الحي منازل قائمة في الوقت الحاضر، وإنما توجد بعض أساسات البيوت، وركام المنازل التي تتكون في الغالب من الحجر المنقبي الذي يقتطع من الشعاب المرجانية، ويستخدم على نطاق واسع في بناء منازل المدن الساحلية التهامية[١٥٦]. كما يعتقد بأن البناء بأعواد النبات والحشائش، استخدم في هذا الحي، ومعروف أن هذا النوع من البناء لا يترك آثارا تدل عليه، باستثناء بقع بسيطة مغطاة بكسر الفخار والزجاج، توحي بأنها كانت أماكن للسكن[١٥٧].

وتجدر الملاحظة إلى أن سكان جبل الصبايا لم يبذلوا عناية تذكر في تهذيب مادة البناء المستخرجة من الشعاب المرجانية، حيث استخدمت هذه المادة، في حالات كثيرة، دون تشذيبها حتى تلائم البناء، بل تركت على حالتها الطبيعية، يظهر ذلك في أساسات المسجد الذي عثر عليه في هذا الحي، وبعض الأساسات التي وجدت حول القبور في مقبرة جزيرة جبل الصبايا الرئيسة[١٥٨].

ولا يعتقد بأن الاستيطان في هذه الجزيرة كان مقصورا فقط على هذا الجزء، فقد وجدت في منخفض، إلى الغرب من هذا الحي بحوالي كيلومتر واحد، منطقة زراعية لعلها من أخصب مناطق جبل الصبايا، وهي تمتد لمسافات طويلة نسبيا إلى الشمال الغربي من هذا الموقع، حيث عثر في هذه المنطقة على تقسيمات للأراضي الزراعية استخدمت فيها مادة البناء المستخرجة من الشعاب المرجانية، وبعض جذوع النباتات والعقم الترابية. فمن المحتمل أن هذه المنطقة كانت مأهولة، ولكن ربما استخدمت فيها المباني المكونة بصورة رئيسة، من جذوع وأغصان النبات والحشائش، والتي تعرف محليا باسم العشاش. وقد سبقت الاشارة إلى أن هذا النوع من المباني لا يترك آثارا على المدى الطويل.

وتوجد في الوقت الحاضر على الطرف الجنوبي لهذه المنطقة، عشة مهجورة بنيت من النباتات المتوفرة في هذه الجزيرة، وهي بحالة جيدة، ولعلها كانت لأحد الساكنين الذين هجروا الجزيرة في النصف الثاني من القرن الماضي، أو لأحد المنتجعين من سكان حلي الذين كانوا يذهبون إلى الجزيرة بمواشيهم قبل أن يضع حراس خفر السواحل قيودا على انتجاع الأهالي إلى الجبل بوسائلهم البدائية، تجنبا لتعرضهم لأخطار الغرق في بحر غير آمن[١٥٩].

وتقع البئر في الطرف الجنوبي لهذه المنطقة، ولعلها كانت مصدر الماء الوحيد لأهل الجزيرة، وهي ـ كما تقدم ـ بئر روية، لا يزال ماؤها سائغا للشرب حتى العصر الحاضر، وعليها دلو برشائه، وضعا لمن تضطره الظروف إلى البحث عن الماء من الصيادين والمرتحلين في هذا الجزء من البحر. وقد طويت هذه البئر بصخور مجلوبة من خارج الجزيرة، لعلها من حرة كنانة الواقعة إلى الجنوب من وادي حلي كما سبقت الاشارة إليها[١٦٠].

وإلى الشمال الشرقي من الحي السكني بحوالي ٦٥٠ مترا، تركت عوامل التعرية تكوينات في الجبل على شكل كهوف كبيرة، ملساء من الداخل، ربما استخدم بعضها للسكن، فقد لوحظ وجود جدران وضعت على الواجهات الرئيسة لهذه الكهوف، بحيث تشكل مع هذه الجدران ما يشبه الغرف التي ربما استخدمت للسكن الدائم أو المؤقت في الجزيرة على مر العصور[١٦١].

توجد بجزيرة جبل الصبايا مقبرتان، تقع الأولى، وهي المقبرة الرئيسة، إلى الشمال من الحي السكني بمسافة قصيرة. وهي تمثل شكلا رباعيا مساحته التقريبية حوالي ٦٠٠ مترا مربعا. وجميع القبور الموجودة فيها اسلامية، من حيث اتجاهها نحو القبلة، وهي مزدحمة بمدافنها التي يلاصق بعضها البعض الآخر، وقد وجد بعض هذه القبور في مجموعات تحيط بها بقايا أسوار من مادة البناء المستخرجة من الشعاب المرجانية غير المشذبة، ولعل كل مجموعة منها كانت تخص عائلة بعينها، أو أسرة من أسر الجزيرة، كما تحيط ببعض هذه القبور بقايا أبنية لها محاريب، يعتقد بأنها تمثل أضرحة بنيت بطريقة بدائية، دون أسقف. وجميع هذه القبور تحمل شواهد قدت من الشعاب المرجانية التي تشكل غالبية التكوين الطبيعي لجبل الصبايا. وهذه الشواهد تختلف في ارتفاعاتها بحيث يزيد ارتفاع بعضها عن المترين[١٦٢]. ولم يعثر

على أي نوع من الكتابات على هذه الشواهد، ولعل ذلك يعود إلى عدم انتشار عادة الكتابة على القبور عند أهل جبل الصبايا، أو أن طبيعة الصخور لا تساعد على تسويتها والكتابات على بلاطاتها.

وتقع المقبرة الثانية على بعد حوالي كيلومتر واحد، إلى الجنوب من الحي السكني والمقبرة الرئيسة وهي مقبرة صغيرة، وليست في أهمية المقبرة الأولى، سواء في مساحتها أو القبور التي تحتوي عليها، أو حتى أشكال شواهدها. ويعتقد أهالي حلي بأن المقبرة الأولى كانت لآل مهاب أو ودّانة، أما الثانية، فتخص قوما من هتيم. وليس غريبا أن تنسب المقبرة الرئيسة إلى آل مهاب، لأن هذه العشيرة تعيش اليوم في منطقة معروفة بساحل حلي. ومن المحتمل أنها نزحت من الجبل عندما لم يطب لها المقام هناك، واستوطنت في المنطقة المشار إليها آنفا. أما هيتم، فمعروف أن مواطنها في شمال المملكة[١٦٣]، ومع هذا فلا يستبعد أن تكون طائفة من هذه القبيلة هاجرت إلى تهامة، واستوطنت بهذه الجزيرة.

تعد جزيرة جبل الصبايا، من الناحية الاقليمية، تابعة لمنطقة حلي قديما وحديثا، وهي تعتبر حتى اليوم ضمن نطاق قبيلة كنانة المشهورة التي تتخذ من مدينة مخشوش مقرا لها في الوقت الحاضر[١٦٤]. ويرأس هذه القبيلة الشيخ عبدالرحمن بن عيسى الكناني، وهو صاحب نفوذ قوي يشمل جميع الأراضي الكنانية بما في ذلك جزيرة جبل الصبايا التي قيل أن أهلها كانوا فيما مضى يدفعون زكواتهم من مواشي وحبوب إلى أجداد هذا الشيخ.

ولكن هذه الجزيرة مهجورة تماما في الوقت الحاضر، وليس فيها أي ساكن، أما في الماضي، فلم تذكر المصادر المتيسرة شيئا عن تاريخ الاستيطان فيها، ولا عن هجرة سكانها واندثارها، ومن المحتمل أنها كانت عامرة في العصور الاسلامية المتزامنة مع نهضة المواقع الأخرى في إقليم حلي، وبصورة خاصة خلال فترة حكم الأسرة الحرامية لهذا الاقليم والذي بدأ ذكرها في الظهور منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[١٦٥]. ويبدو أن هذه الجزيرة استمرت آهلة بالسكان حتى أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، يتضح ذلك من إشارة عابرة وردت عند ابن ماجد أثناء حديثه عن اكتشافه لشعب عيسى، المجاور لجزيرة جبل الصبايا، حيث يقول «وإشاراته أنه شعب عليه الماء قدر باعين أو باعين ونصف. . .

وإني قد نتخته في سنة من السنين، ولم أعرف ما إسمه، . . . . ورأيته عن يميني، وبقيت أسأل أهل جبل الصبايا، فوصفوه لي، فعرفته وحكمت عليه بالقياس»[١٦٦].

ويتضح من هذه الاشارة أن جزيرة جبل الصبايا كانت آهلة بالسكان في الزمن الذي عاش فيه هذا العالم الكبير والذي سبقت إليه الاشارة. ومن المحتمل أنها بدأت في الاضمحلال بعد التحول الكبير الذي طرأ على خط الملاحة العالمي، عندما اكتشف الملاح البرتغالي، فاسكو داجاما، طريق رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٧م، وما نتج عن ذلك الاكتشاف، من تحول كبير في طريق الملاحة العالمي من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي، وما تبعه من أضرار جسيمة حلت بموانيء اليمن والحجاز بعد تلك الفترة[١٦٧]. فيبدو أن هذه الجزيرة فقدت، نتيجة لذلك، واحدا من أهم مقوماتها، وهي أنها ربما كانت إحدى محطات السفن التجارية في البحر الأحمر.

يستخلص مما سبق، أن منطقة حلي كانت من المناطق المأهولة منذ القدم، ولكن لم يرد ذكرها في المصادر العربية إلا منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وقد أطلقت كلمة حلي على الوادي أو الاقليم، وعلى المدينة الرئيسة أو العاصمة المركزية للمنطقة، ثم نسبت هذه المدينة الرئيسة إلى ابن يعقوب، وكان من الشخصيات البارزة ذات الأدوار الهامة في تاريخ هذه المدينة.

ويستخلص أيضا، أن دلتا وادي حلي كانت عامرة بالمواقع الاسلامية التي أصبحت بما في ذلك مدينة حلي التاريخية في حكم الأماكن المندثرة، ولكن حياة المدنية التي عاشتها تلك المنطقة، تركت بصماتها واضحة على هذه المواقع، متمثلة فيما تحمله من مخلفات أثرية هامة جديرة بالدراسة والتنقيب. ولم يقتصر الاستيطان والتحضر على دلتا وادي حلي، بل تعداها ليشمل جزيرة جبل الصبايا، التي عاشت واندثرت، وهي لا تزال مرتبطة بوادي حلي، تدين بولائها لأحفاد مشايخ كنانة الذين كانوا سادتها في يوم ما.

وقصارى القول، فإن المواقع الاسلامية بحلي غنية بمخلفاتها الأثرية، وإن إجراء حفريات جادة ومنتظمة في هذه المواقع، قد يكشف عن حقائق لا تخطر على بال أحد.

شكل (٦) موقع الحي السكني بجبل الصبايا

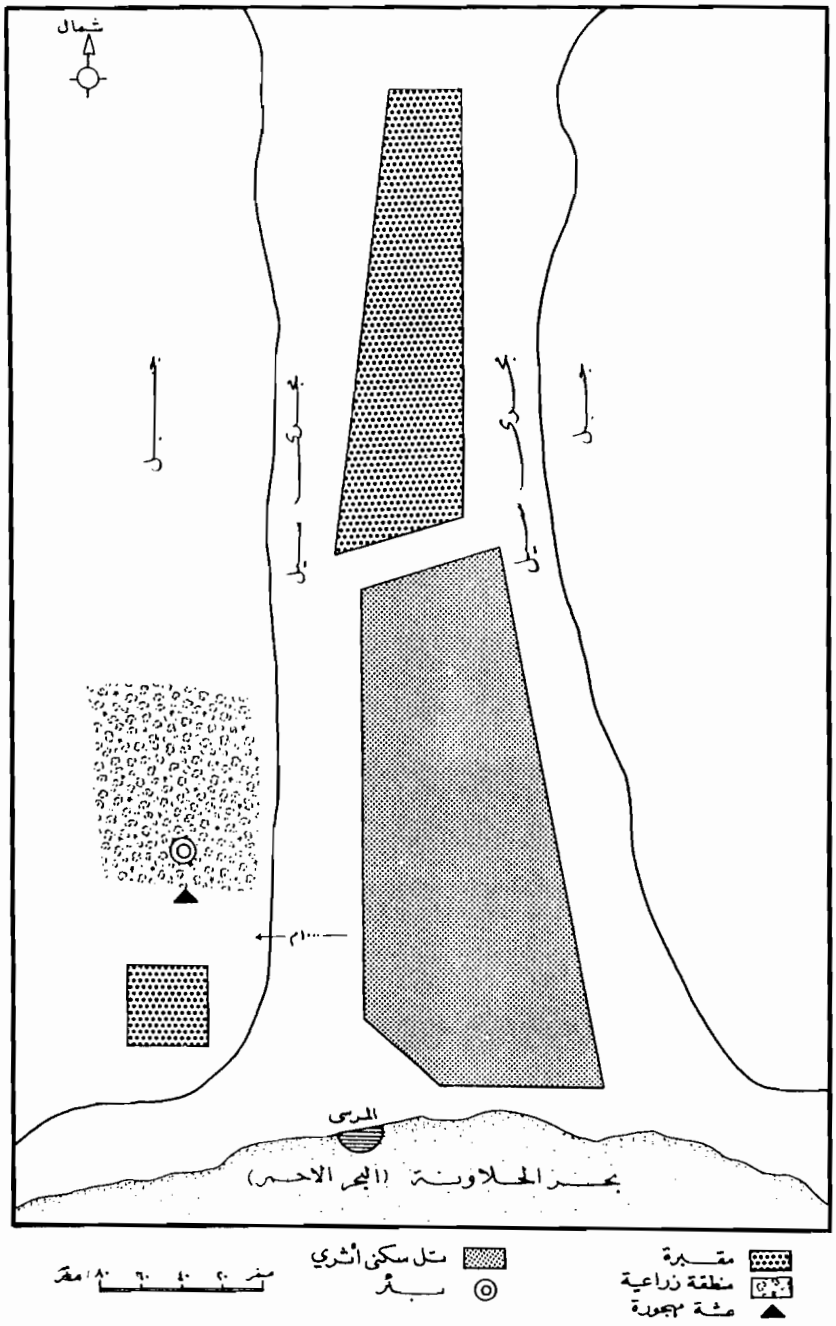

الهوامش

* قام مركز البحوث ـ كلية الآداب ـ بتمويل الرحلة الميدانية التي تطلبها بحثي هذا. وأود بهذه المناسبة أن أشكر الأستاذ الدكتور عزت عبدالمجيد خطاب، مدير المركز السابق ورئيس قسم اللغة الانجليزية، على جميع التسهيلات التي قدمها لي أثناء الاعداد لهذا البحث. كما أشكر مدير مجمع الخدمات القروية بمنطقة القنفذة على تعاونه معي، وكذلك أعضاء خفر السواحل بحلي الذين هيأوا لي الزوارق اللازمة، لنقلي إلى جزيرة جبل الصبايا، وقاموا بمرافقتي أثناء هذه الرحلة غير الآمنة. وأشكر أيضا أبناء بلدتي (الحبيل) على تعاونهم معي وبصورة خاصة الأستاذ بروجي أحمد المتحي الذي رافقني في أغلب تنقلاتي في وادي حلي، وكذلك الاستاذ محمد ابراهيم الناشري، وجميع شيوخ القبائل، وأمراء المراكز الذين قابلتهم. وأخيرا أشكر السيد محمد الجيلي، سكرتير مركز البحوث، الذي قام بطباعة مسودة هذا البحث على الآلة الكاتبة.

(١) انظر: العذري، **منازل الحجاز**، ١٤أ؛ الواسعي، **تاريخ اليمن**، ٨٦؛ Twitchell, Saudi Arabia, 58; K. AbdulFattah, Mountain Farmer, 48.
انظر أيضا: لوحة(١).

(٢) Thesiger, «A Journey Through The Tihama,» 190;
انظر أيضا: وزارة البترول، «خريطة جيولوجية لمنطقة تهامة الشام»، رقم اللوحة، أ٢١٦ ـ ١.

(٣) **صفة جزيرة العرب**، ٢٥٩؛ العقيلي، **المخلاف**، ١/٧٩.

(٤) ياقوت، **معجم البلدان**، ١/٢٥، ٣٧.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، ١/٨٨٣.

(٦) انظر: شكل (١).

(٧) **كتاب المناسك**، ٦٤٦.

(٨) انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ١/٥٣١؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ٥٤.

(٩) الحربي، **كتاب المناسك**، ٦٤٦ ـ ٧. توجد عدة نسخ خطية من كتاب السلوك للجندي، في كل من صنعاء، وتركيا، وباريس، وشستربتي، وعلمت مؤخرا أن الأستاذ محمد بن على الأكوع قام بتحقيق الجزء الأول، ونشرته وزارة الاعلام بالجمهورية العربية اليمنية. ويؤسفني أنه لم يصل إلى يدي، أثناء إعداد هذا البحث، رغم ما بذلته من محاولات.

(١٠) **المسالك**، ١٤٨.

(١١) نفس المكان.

(١٢) عمارة، **تاريخ اليمن**، ٧٠.

(١٣) نفس المصدر، ٧٠ ـ ٧٣.

(١٤) **نبذة من كتاب الخراج**، ١٩٢.

(١٥) نفس المكان.

(١٦) **صفة جزيرة العرب**، ٣٤١.

(١٧) نفس المصدر، ٢٥٩؛ **صورة الأرض**، ٣٤.
سيخصص، إن شاء الله، بحث مستقل يتناول تاريخ الأسرة الحرامية، وعلاقاتها مع الحكومة المجاورة في العصور الاسلامية.

(١٨) **أحسن التقاسيم**، ٨٦.

(١٩) **منازل الحجاز**، ١٤ أ.

(٢٠) **الممالك**، ٤٩.

(٢١) **منازل الحجاز**، ١٤ أ.

(٢٢) **تقويم البلدان**، ٩٣؛ **عقد الجمان**؛ جـ ١ ورقة ٣٣ب؛ **أوضح المسالك**، مادة حلي.

(٢٣) **نزهة المشتاق**، ١٩.

(٢٤) **تاريخ اليمن**، ٥٤.

(٢٥) نفس المصدر، ٣٨، ٧١؛ انظر أيضا: ابن الديبع، **بغية المستفيد**، ٤١.

(٢٦) **معجم البلدان**، ٢٩٧/٢.

(٢٧) انظر على سبيل المثال: البغدادي، **مراصد الاطلاع**، ١٤١/١؛ ابن خلدون، **العبر**، ٤٧٢/٤.

(٢٨) ابن منظور، **لسان العرب**، ١٤/٣.

(٢٩) العذري، **منازل الحجاز**، ورقة ١٤أ؛ الادريسي، **نزهة المشتاق**، ٢٩.

(٣٠) العذري، **منازل الحجاز**، ورقة ١٤أ.

(٣١) انظر على سبيل المثال: ابن بطوطة، **تحفة النظار**، ٢٤٦، الفاسي **العقد الثمين**، ٢٢٨/٢، ٢٠/٣، ١٨٥، ٣٣٩/٦؛ القلقشندي، ٢٣٩/٣، ١٣/٥؛ العيني، **عقد الجمان**، ٣٣/١ ب، ابن ماجد، **كتاب الفوائد**، ٢٧٠.

(٣٢) **تحفة النظار**، ٢٤٦.

(٣٣) **تاريخ اليمن**، ٥٤.

(٣٤) **بين مكة واليمن**، ١٧٦ ـ ٧.

(٣٥) انظر على سبيل المثال: عمارة، **تاريخ اليمن**، ٦٤؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**، ٣٣، ٣٤؛ الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ٢٥٩.

(٣٦) **ديوان ابن هتيمل**، ١٥٨.

(٣٧) **نفس المصدر**، ١٦٦.

(٣٨) العقيلي، **المخلاف**، ٢١٨/١.

(٣٩) **أحسن التقاسيم**، ٨٦.

(٤٠) **منازل الحجاز**، ورقة ١٤ أ.

(٤١) **الممالك**، ٤٩.

(٤٢) **تاريخ المستبصر**، ٥٣.

(٤٣) **تحفة النظار**، ٢٤٦.

(٤٤) انظر: Rutter, The Holey Cities, 62 – 4; Philby, **Arabian Highlands**, 684–8; Thesiger, «A Journey Through the Tihama,» 192

(٤٥) انظر: لوحة (٢).

(٤٦) **نزهة المشتاق**، ٢٩، **ديار العرب من أنس المهج**، ٦١.

(٤٧) الواسعي، **تاريخ اليمن**، ١٠٣؛ البلادي، **بين مكة واليمن**، ١٩١.

(٤٨) يذكر ابن منظور أن من معاني الساحل: الريف، والريف: يطلق على الأراضي الزراعية الخصبة التي تكثر فيها المياه والمراعي للماشية. **لسان العرب**، ١/١٢٦٨، ٢/١١٠.

(٤٩) **صفة جزيرة العرب**، ٢٩٩.

(٥٠) **الممالك**، ٤٩.

(٥١) Twitchell, **Saudi Arabia**, 84.

(٥٢) انظر: Philby, **Arabian Highlands**, 665–84.
البلادي، **بين مكة واليمن**، ٢١٣ ـ ٢١٥، ٢٣٥ ـ ٢٣٧.

(٥٣) **معجم البلدان**، ٢/٢٩٧.

(٥٤) The Holy Cities, 64–5

(٥٥) Ibid, 64

(٥٦) Ibid, 65.

(٥٧) **Arabian Highlands**, 686.

(٥٨) British intelligence, 133.

(٥٩) **جغرافية الجزيرة العربية**، ٢٨٤ ـ ٥.

(٦٠) البلادي، **بين مكة واليمن**، ١٧٧.

(٦١) انظر: Cornwallis, **Asir**, 37; Philby, **Arabian Highlands**, 686.
البلادي، **بين مكة واليمن**، ١٧٥، ١٩١ ـ ١٩٥.

(٦٢) البلادي، نفس المرجع، ١٧٧.

(٦٣) انظر: شكل (٢). الصنادق: تشبه الغرف، ولكن أسقفها محدبة، وهي تبنى بالخشب وألواح الزنك.

(٦٤) انظر: لوحة (٢).

(٦٥) **بغية المستفيد**، ٤١؛ **الفضل المزيد**، ٢٨. اطلعت على نسخة ابن عبدالمجيد المطبوعة، فلم أجد هذه الاشارة، لا في المتن ولا في الهوامش. انظر: **بهجة الزمن**، ص٢٦، ٢٨.

(٦٦) البلادي، **بين مكة واليمن**، ٢٠٧.

(٦٧) الدَّرَاهِمَة: فخذ من العَلاَونَة الذين يعتقد بأنهم يمتون بأصولهم إلى كنانة، والعُمُور: قبيلة كبيرة. تنتشر في وادي حلي ووادي يَبَة، والرُّمَثَة: من أحفاد أشراف مكة الحَسنيين. انظر: المرجع نفسه، ١٩٢ ـ ٤.

(٦٨) انظر: شكل (٣).

(٦٩) **نزهة المشتاق**، ١٩.

(٧٠) **تحفة النظار**، ٢٤٧؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ٤/٣١٨؛ الفاسي، **العقد الثمين**، ٣/٣٩٦؛ ابن الأهدال، **علماء اليمن**، ورقة ٤ب؛ العصامي، **سمط النجوم**، ٤/٢٣٩. ويذكر بوركهاردت أن حلي كان ميناءاً صغيرا في سنة ١٨١٩م. انظر: **Travels in Arabia**, 453.

(٧١) **Arabian Highlands,** 686.

(٧٢) Ibid.

(٧٣) انظر: لوحة (٣).

(٧٤) صفحة ٢٨.

(٧٥) **علماء اليمن**، ورقة ٣٤ ب.

(٧٦) الشرجي، **طبقات الخواص**، ٢٨.

(٧٧) انظر: لوحة (٤).

(٧٨) انظر: شكل (٤)؛ لوحة (٥).

(٧٩) **طبقات الخواص**، ٢٨.

(٨٠) **علماء اليمن**، ٣٤ ب.

(٨١) Al-Zaylaʿī, «The Southern Area», 180

(٨٢) K. AbdulFattah, Mountain Farmer, 48.

(٨٣) انظر: شكل (١).

(٨٤) **الصحاح**، ٨٩٢/٣.

(٨٥) **لسان العرب**، ١٨٦/٣.

(٨٦) **تاج العروس**، ٢٩١/١٥.

(٨٧) نفس المكان.

(٨٨) نفس المكان؛ انظر أيضا: ابن سيده، **المخصص**، ١٣٦/١٠.

(٨٩) **لسان العرب**، ١٨٦/٣.

(٩٠) انظر: Cornwallis, Asir, 35;
البلادي، **بين مكة واليمن**، ١٦٢ والصفحات التي بعدها.

(٩١) انظر: Philby, Arabian Highlands, 695 ؛ المتن: بمعنى القوز، وهو ما ارتفع من الأرض واستوى، والجمع متان ومتون. انظر: ابن سيده، **المخصص**، ٨٢/١٠.

(٩٢) **علماء اليمن**، ورقة ٤ ب.

(٩٣) **العقد الثمين**، ٢٠/٣؛ **اتحاف الورى**، حوادث سنة ١٤٥٢/٨٥٦.

(٩٤) ظننت عندما صادفتني أول إشارة عن الشيخ علي، وأنه كان يسكن بقرية القوز، أن المقصود بهذا الموقع هو قوز بلعير، قرية وادي يبه الرئيسة. ولكن عندما سألت أحد الأصدقاء، من زملاء المهنة، الذين ينتمون إلى هذه القرية، أخبرني مشكورا بأن الشيخ علي عاش ومات في حلي، وليس في قوز بلعير.

(٩٥) هذا هو الاعتقاد السائد بين سكان وادي حلي، والمناطق المجاورة له، حتى أنه لا يذكر الشيخ علي إلا ويذكر وادي حلي. ومن أقوالهم الشائعة «الشيخ علي راعي حلي»، أي صاحب حلي أو ساكن حلي.

(٩٦) **علماء اليمن**، ورقة ٦ ب.

(٩٧) **العقد الثمين**، ٢٠/٣.
توجد بحلي قرية مشهورة عامرة في الوقت الحاضر، تسمى قوز ابن عطاف. وهي إلى **الغرب** من

قرية الصفة، المقر الحالي لامارة شرق حلي، ولكنها قرية حديثة النشأة بالمقارنة مع قوز الشاهد الذي يُعرف بقدمه وبطابعه الحضاري. كما يوجد مكان آخر يطلق عليه القوز الأخضر، وهو إلى الشمال الشرقي من مدينة حلي قديم، وإلى الشمال من البيضين، ولكنه ليس مأهولا في الوقت الحاضر، وليس هناك ما يدل على أنه كان كذلك. لأن الموقع عبارة عن أرض زراعية طينية، وهو أقرب إلى شمال الوادي منه إلى جنوبه.

ولا بد أن قرية الشيخ علي كانت جنوبي الوادي يتضح ذلك من قول اليافعي:-

إذا جئتما حلي ابن يعقوب يَمِّنا قليلا إلى حيث السعادة حلت

انظر: **مرآة الجنان**، ٤/٣١٤.

(٩٨) ابن منظور، **لسان العرب**، ٢/٦٥٥ ـ ٥٧.

(٩٩) البلادي، **بين مكة واليمن**، ٢١٧ ـ ٢٢١.

(١٠٠) انظر: Cornwallis, Asir, 35.

(١٠١) رفيع، **في ربوع عسير**، ١٠٦؛ البلادي، **بين مكة واليمن**، ١٩٢، ٢٠٤.

(١٠٢) انظر: ابن فهد، **اتحاف الورى**، حوادث ٨٥٦/١٤٥٢.

(١٠٣) انظر: اليافعي، **مرآة الجنان**، ٤/٣١٠ ـ ٣٢٦؛ الشرجي، **طبقات الخواص**، ٨١ ـ ٨٣.

(١٠٤) القلقشندي، **نهاية الأرب**، ٨٧، ٩١؛ الشرجي، **طبقات الخواص**، ٨٣.

(١٠٥) انظر: الشرجي، نفس المكان؛ العقيلي، **المخلاف**، ١/٥؛ **الآثار التاريخية**، ٢٦ ـ ٢٧.

(١٠٦) ابن الأهدل، **علماء اليمن**، ورقة ٥ أ، العقيلي، الآثار التاريخية؛ ٨٥ ـ ٩١.

(١٠٧) **علماء اليمن**، ورقة ٤ أ.

(١٠٨) ابن الأهدل، **نفس المصدر**، ورقة ٥ أ.

(١٠٩) **العقد الثمين**، ٣/٢٠.

(١١٠) **مرآة الجنان**، ٤/٣١١.

(١١١) نفس المكان.

(١١٢) **نفس المصدر**، ٤/٣١٤ ـ ١٥.

(١١٣) **نفس المصدر**، ٤/٣٢٥ ـ ١٥.

(١١٤) **علماء اليمن**، ورقة ٥ ب.

(١١٥) اليافعي، **مرآة الجنان**، ٤/٣٢٦؛ الشرجي، **طبقات الخواص**، ٨٣.

(١١٦) ابن الأهدل، **علماء اليمن**، ورقة ٥ ب، ٦ أ.

وقد حفظت للشيخ علي أقوالاً كثيرة ورسائل تدل على معرفته بالأدب، وقدرته على البيان، من ذلك قوله «ينبغي للفقير الصادق أن يكون كثير الفضائل، لطيف الشمائل، أخلاقه ألطف من نسيم السحر، وأوصافه كالمسك إذا فاح وانتشر، طلق الوجه عند لقاء الاخوان، بسام الثغر عند وجود الحدثان. قلبه من الغش والحسد مكنوس، قد طهر ونقي من آفات النفوس، حرفته في الدنيا الزهادة، وحانوته فيها العبادة، إذا جن عليه الليل فهو قائم، وإذا أصبح النهار فهو صائم، كثير التلاوة للقرآن، بدمع منحدر كالجمان...».

انظر: اليافعي، مرآة الجنان، ٤/٦٢٢ ـ ٢٦؛ الشرجي، **طبقات الخواص**، ٨٢؛ العقيلي، **التصوف في تهامة**، ١٨٩.

(١١٧) الشرجي، **طبقات الخواص**، ٨٣.

(١١٨) عن قرية البيّضين، انظر، Thesiger, «A Journey Through the Tihama», 193. البلادي، **بين مكة واليمن**، ١٩٣.

هذا ما يعتقده أهل حلي، ولا نظن أن هذا الاعتقاد جاء من فراغ، إذ ربما يكون قد دفن في الموقع الذي كان يعرف بتربة الشيخ علي، وهو في وادي حلي إلى الجنوب من قرية البيضين المذكورة بحوالي كيلومتر واحد. وهذا لا ينفي حياة الشيخ في قرية القوز، إذ أنه ليس بالضرورة أن يموت المرء ويدفن في المكان الذي عاش فيه، فربما يكون الشيخ مات في إحدى تنقلاته بقرى ساحل حلي، ومن ثم دفن فيها. لأن المسافة بين ما يعتقد بأنه موقع تربة الشيخ وقرية القوز ليست قريبة بالدرجة التي تجعل نقل جثمانه أمرا ميسورا، فما نراه قريبا في الوقت الحاضر ليس كذلك بالنسبة لأهل ذلك العصر، ومن المحتمل أيضا أنه أوصى بأن يدفن في ذلك الموقع، ربما لأسباب تتعلق بتصرفات الصوفية الغامضة أمام أتباعهم ومريديهم، وأن ذلك تم لأمر رآه في حياته.

(١١٩) **علماء اليمن**، ورقة ٦ ب.

(١٢٠) الفاسي، **العقد الثمين**، ٨/٣٤٩.

(١٢١) **طبقات الخواص**، ٨٣.

(١٢٢) **العقد الثمين**، ٣/٢٠.

(١٢٣) الشرجي، **طبقات الخواص**، ٨٣.

(١٢٤) ابن الأهدل، **علماء اليمن**، ورقة ٤ ب.

(١٢٥) نفس المصدر، ورقة ٦ ب.

(١٢٦) نفس المكان.

(١٢٧) ابن فهد، **اتحاف الورى**، حوادث سنة ٨٥٦/١٤٥٢.

(١٢٨) **علماء اليمن**، ورقة ٦ ب.

يكتفي بهذا القدر عن بني الطواشي؛ لأن هذا البحث يتناول مواقع حلي في العصور الاسلامية فقط. ومع هذا فقد استمر بعض أفراد هذه الاسرة يتوارثون أمر الزاوية، ومركز جدهم الروحي حتى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي. ومن هؤلاء: الشيخ يحى الطواشي المتوفى سنة ١٠٢٨/١٦١٨، والشيخ سراج الدين عمر بن علي الطواشي المتوفى سنة ١٠٤٦/١٦٣٦. وهذا الأخير انتهت إليه رئاسة وسيادة بني الطواشي الروحية في هذه الفترة. وقد توفي بالقوز في السنة المذكورة، ودفن خارجها من الناحية الشرقية، فيما بينها وبين خريان الذي سيأتي الحديث عنه. وقبره كان معروفا حتى عهد قريب.

انظر: العقيلي، **التصوف في تهامة**، ١٩١.

(١٢٩) البلادي، **بين مكة واليمن**، ١٩٣، ٢١١ ـ ٢١٢.

(١٣٠) Philby, Arabian Highlands, 684–4.

(١٣١) انظر: لوحة (٦).

(١٣٢) انظر: شكل (٥).
(١٣٣) انظر: لوحة (٧).
(١٣٤) انظر: رفيع، **في ربوع عسير**، ١٣٨ ـ ١٣٩.
(١٣٥) انظر: لوحة (٨).
يذكر أحد المسنين الذين يسكنون بجوار التحصينات من الناحية الجنوبية الغربية، ويدعى مسعود الأحمري، أن جدران هذه التحصينات كانت من الارتفاع، عندما كان صبيا، بحيث يصعب استخراج أغنامهم عندما تدخل فيها.
(١٣٦) انظر: الفاسي، **العقد الثمين**، ٦٦/٤، ٩٩؛ ابن فهد، **اتحاف الورى**، ٤٢٦/٣، ٤٢٩.
(١٣٧) الفاسي، **العقد الثمين**، ٤٠٠/٣ ـ ٤٠٣؛ العسقلاني، **أنباء الغمر**، ٢٣/٣ ـ ٢٤؛ **الضوء اللامع**، ٥١/٣.
(١٣٨) ابن فهد، **اتحاف الورى**، ٤٣٦/٣.
(١٣٩) **كتاب الفوائد**، ٣٨٦.
(١٤٠) انظر: شكل (١).
(١٤١) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ٤٠٨/٢.
(١٤٢) انظر: الريحاني، **ملوك العرب**، ٣٦٨/١ ـ ٧٠، ٣٧٧ ـ ٨٤، وفي أماكن متفرقة.
(١٤٣) **كتاب الفوائد**، ٣٥١.
(١٤٤) نفس المصدر، ٣٥٣.
(١٤٥) البلادي، **بين مكة واليمن**، ١٣٨.
(١٤٦) **كتاب الفوائد**، ٣٥٥.
(١٤٧) نفس المصدر، ٣٨٣.
(١٤٨) نفس المصدر، ٣٨٤.
(١٤٩) Thesiger, «A Journey Through the Tihama», 191.
(١٥٠) **كتاب الفوائد**، ٣٥٢.
(١٥١) انظر: وزارة البترول والثروة المعدنية، «خريطة جيولوجية لمنطقة تهامة الشام» رقم اللوحة أ ٢١٦ ـ ١.
(١٥٢) انظر: شكل (٦).
(١٥٣) انظر: لوحة (١٠).
(١٥٤) انظر: شكل (١).
(١٥٥) انظر: شكل (٦).
(١٥٦) البلادي: **بين مكة واليمن**، ١٣٥.
(١٥٧) انظر: لوحة (١١).
(١٥٨) انظر: لوحة (١٢).
(١٥٩) انظر: لوحة (١٣) العُقَم أو العُقُوم، مفردها عَقْم، وهي سدود ترابية تحيط بالمزارع وتعترض مجاري الأودية بغرض حجز السيول وري الأراضي الزراعية.
انظر: العقيلي، **المخلاف السليماني**، جـ ١ في أماكن متعددة.

(١٦٠) انظر: لوحة (١٠).
(١٦١) انظر: لوحة (١٤).
(١٦٢) انظر: لوحة (١٥).
(١٦٣) كحالة، **معجم قبائل العرب**، ١٢٠٩/٣.
(١٦٤) البلادي، **بين مكة واليمن**، ١٩٣ - ٩٤.
(١٦٥) انظر: عمارة، **تاريخ اليمن**، ١٦٤؛ الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ٢٥٩؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**، ٣٤.
(١٦٦) **كتاب الفوائد**، ٣٥١ - ٥١.
(١٦٧) فاروق أباظة، **عدن والسياسة البريطانية**، ٣٥ - ٣٧.

المصادر والمراجع

أولا : العربية:

ابراهيم شوكة.

(١) «جزيرة العرب من نزهة المشتاق للشريف الادريسي»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، المجلد الحادي والعشرون، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

(٢) «ديار العرب من أنس المهج للادريسي»، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الحادي والعشرون، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

الادريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد.

(انظر: ابراهيم شوكة).

ابن الأهدل، حسين بن عبدالرحمن بن محمد.

(٣) **علماء اليمن**، مخطوط، المتحف الريطاني، رقم ١٣٤٥.

ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن ابراهيم اللواتي.

(٤) **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق.

(٥) **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

البكري، أبو عبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز.

(٦) **الممالك والمسالك**، تحقيق: عبدالله الغنيم، الكويت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

البلادي، عاتق بن غيث.

(٧) **بين مكة واليمن** (رحلات ومشاهدات)، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الجوهري، اسماعيل بن حماد.

(٨) **الصحاح**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين - بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الحربي، ابراهيم بن اسحاق.

(٩) **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج**، تحقيق: الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة ـ الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي.

(١٠) **صورة الأرض**، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٦٧م.

ابن خرداذبة، عبيدالله بن عبدالله.

(١١) **كتاب المسالك والممالك**، ليدن، ١٩٦٧م.

ابن خلدون، عبدالرحمن.

(١٢) **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٨.

ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر.

(١٣) **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، تحقيق: عبدالله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩ م.

(١٤) **الفضل المزيد في بغية المستفيد**، تحقيق: الدكتور محمد عيسى صالحية، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

رفيع، محمد عمر.

(١٥) **في ربوع عسير** (ذكريات ومشاهدات)، دار العهد الجديد، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

الريحاني، أمين

(١٦) **ملوك العرب**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

الزبيدي، محمد مرتضى.

(١٧) **تاج العروس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، وزارة الاعلام في الكويت، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ابتداء من عام ١٩٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

ابن السباهي، محمد بن علي.

(١٨) **أوضح المسالك إلى معرفة الممالك**، مخطوطة، مكتبة البودليان ـ أكسفورد، رقم ٣٠٢.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن.

(١٩) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، منشورات دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

ابن سيدة، علي بن اسماعيل.

(٢٠) **المخصص**، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ـ بيروت، بدون تاريخ.
الشرجي، أبو العباس أحمد بن أحمد الزبيدي.
(٢١) **طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص**، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٣٢١هـ.
ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي اليماني.
(٢٢) **تاريخ اليمن، المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق: مصطفى حجازي، دار العودة ـ بيروت، دار الكلمة ـ صنعاء، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
العذري، أحمد بن عمر بن أنس.
(٢٣) **منازل الحجاز**، مخطوط، معهد المخطوطات، القاهرة، رقم ٢/٣٤٨٦.
العسقلاني، شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر.
(٢٤) **أنباء الغمر بأنباء العمر**، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
العصامي، عبدالملك بن حسين.
(٢٥) **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، المطبعة السلفية، القاهرة، بدون تاريخ.
العقيلي، محمد بن أحمد.
(٢٦) **الآثار التاريخية في منطقة جازان**، الطبعة الأولى، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
(٢٧) **التصوف في تهامة**، الطبعة الثانية، دار البلاد للطباعة والنشر، جدة، بدون تاريخ.
(٢٨) **تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب الغربي**، مطابع الرياض، الرياض ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
عماد الدين، الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماه.
(٢٩) **كتاب تقويم البلدان**، طبع باريس، ١٨٤٠م.
عمارة، نجم الدين عمارة بن علي اليمني.
(٣٠) **تاريخ اليمن، المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، الطبعة الثانية، صنعاء، ١٩٨٥م.
العيني، بدر الدين محمد بن أحمد.
(٣١) **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، مخطوطة، مكتبة أحمد الثالث، طوبقا بوسراي ـ اسطنبول، رقم ١/٢٩١١.
فاروق أباظة.

(٣٢) **عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد.

(٣٣) **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، الجزء الأول، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

الاجزاء من ٢ ـ ٨ تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، ١٣٨٠ ـ ١٣٨٩هـ/١٩٦٠ ـ ١٩٦٩م.

ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد.

(٣٤) **اتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، مكة المكرمة، ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ/١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م، ثلاثة أجزاء.

(٣٥) **اتحاف الورى بأخبار أم القرى**، الجزء الرابع، مخطوط، مكتبة الحرم المكي، رقم ٢٢٦ تاريخ (دهلوي).

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب.

(٣٦) **القاموس المحيط**، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

قدامة بن جعفر البغدادي.

(٣٧) **نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتاب**، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٦٦م.

القلقشندي، أحمد بن علي.

(٣٨) **صبح الأعشي في صناعة الانشاء**، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩١٤ ـ ١٩١٨م.

(٣٩) **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، بغداد، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

كحالة، عمر رضا.

(٤٠) **جغرافية جزيرة العرب**، دمشق، ١٩٤٤م.

(٤١) **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨/١٩٦٨.

ابن المجاور، يوسف بن يعقوب.

(٤٢) ابن ماجد، شهاب الدين أحمد بن ماجد النجدي.

كتاب الفوائد في معرفة البحر والقواعد، تحقيق: ابراهيم خوري وعزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

(٤٣) **صفة بلاد اليمن (تاريخ المستبصر)** تحقيق: لوفغرين، ليدن، ١٩٥١م.
المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد.
(٤٤) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن، ١٩٠٦.
ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري.
(٤٥) **لسان العرب المحيط**، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب ـ بيروت، بدون تاريخ.
وزارة البترول والثروة المعدنية.
(٤٦) «خريطة جيولوجية لمنطقة تهامة الشام ـ المملكة العربية السعودية» رقم اللوحة، أ ٢١٦ ـ ١.
الواسعي، عبدالواسع بن يحيى.
(٤٧) **تاريخ اليمن**، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٤٧م.
ابن هتيمل، القاسم بن علي.
(٤٨) **ديوان الشاعر ابن هتيمل**، تحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب.
(٤٩) **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي اليمني المكي.
(٥٠) **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، الطبعة الأولى، حيدر آباد، الدكن، ١٣٣٩هـ.
ياقوت، أبو عبدالله الحموي.
(٥١) **معجم البلدان**، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧م.

ثانيا: غير العربية:

British Intelligence
(1) **Western Arabia and the Red Sea,** Oxford, 1986.

Burckhardt, John Lewis
(2) **Travels in Arabia,** Librairie Du Liban, Beirut, 1972.

Cornwallis, Sir Kinahan

(3) **Asir before World War I,** the Oleander Press, Cambridge, n.d.

Thesiger, W.

(4) "A Journey Through the Tihama, The ʿAsir, and the Hijaz Mountains", **The Geographical Journal,** Vol. CX 1947.

K. Abdulfattah

(5) **Mountain Farmer and Fallah in ʿAsīr, Southwest Saudi Arabia,** Erlangen, 1981.

Philby, J. B.

(6) **Arabian Highlands,** New York, 1952.

Rutter, Eldon.

(7) **'The Holy Cities of Arabia',** 1st edit., London, 1928.

Twitchel, K.S.

(8) **Saudi Arabia,** New Jersey, 1947.

Al-Zaylaʿī, Ahmad b. Umar.

(9) "The Southern Area of the Amirate of Makkah (3rd - 7th/9th - 13th centuries), its History, Archaeology and Epigraphy", Ph.D. Thesis, Durham University, 1983.

اللوحات التوضيحية

لوحة (١) حقول الذرة في وادي حلي الخصيب.

لوحة (٢) بعض الموجودات الأثرية في الحي السكني القديم بمدينة حلي ابن يعقوب، وتلاحظ على بعد، غابة من أشجار السدر الذي يكثر وجوده حول المدينة.

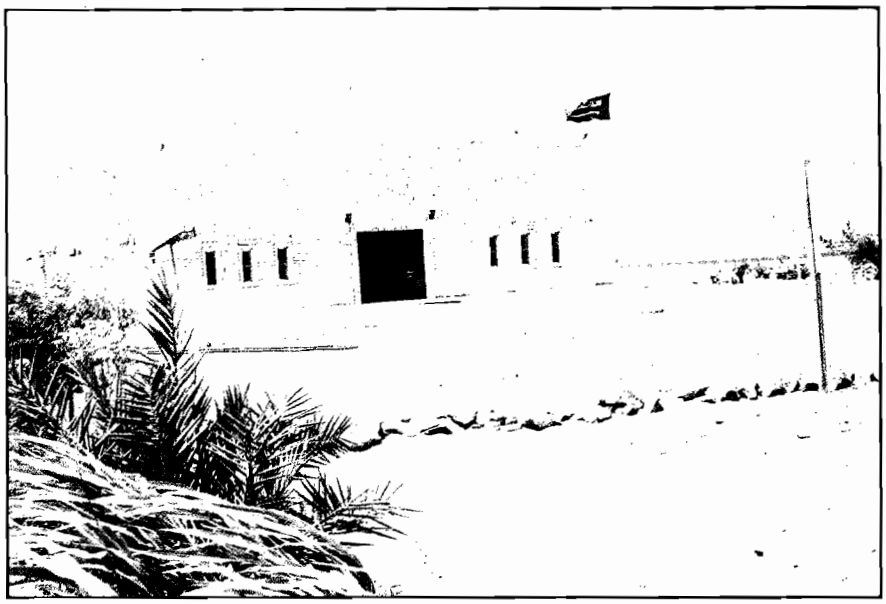

لوحة (٣) مركز خفر السواحل بالكدوف.

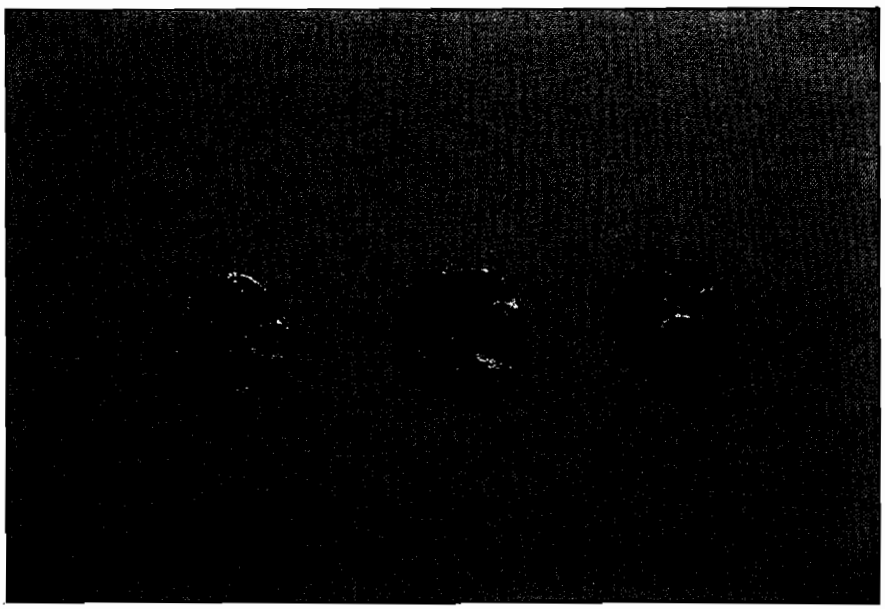

لوحة (٤) عملات قديمة متآكلة، عثر عليها في الموقع الذي يعتقد بأنه كان ميناء حلي.

لوحة (٥) بعض بقايا البناء في موقع الرديني أو عازب.

لوحة (٦) وادي حلي المجاور لتحصينات خريّان من الشمال أثناء الري.

لوحة (٧) بقايا أحد الأبراج في تحصينات خريّان.

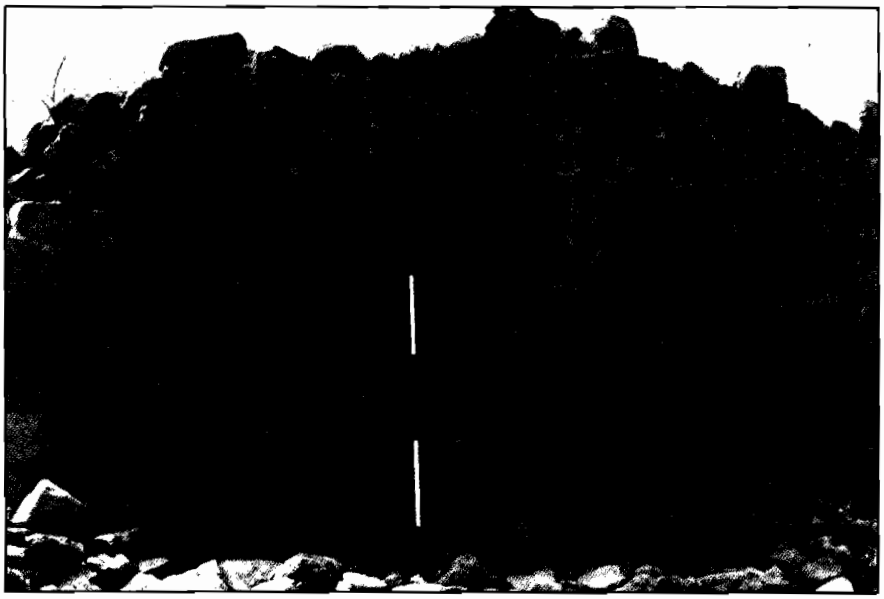

لوحة (٨) جانب من أحد جدران تحصينات خريّان.

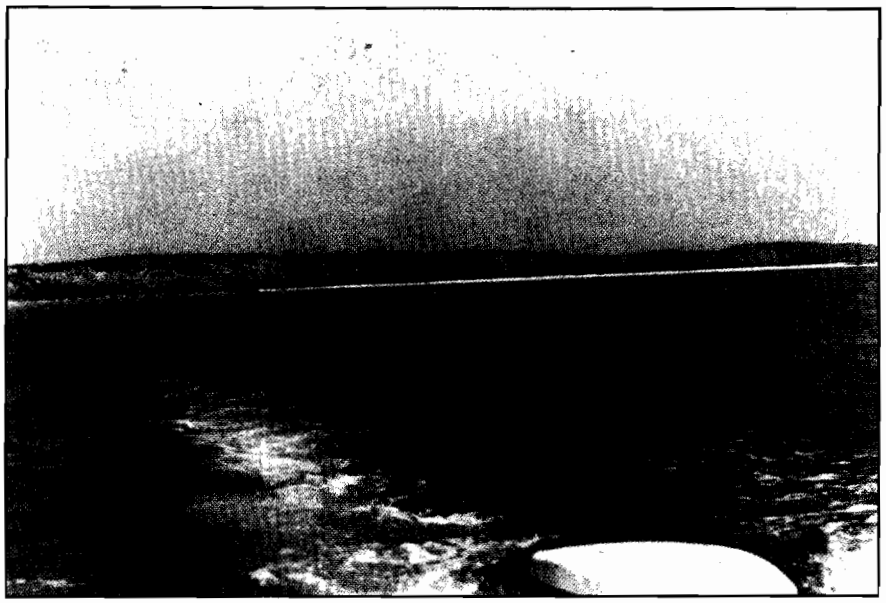

لوحة (٩أ) منظر عام لجزيرة جبل الصبايا التقط من البحر.

لوحة (٩ب) منظر التقط بالقرب من مرسى الجزيرة، ويلاحظ في الصورة كثرة النباتات المتوفرة هناك، واثنان من حراس خفر السواحل بحلي ومساح من مجمع الخدمات القروية بالقنفذة.

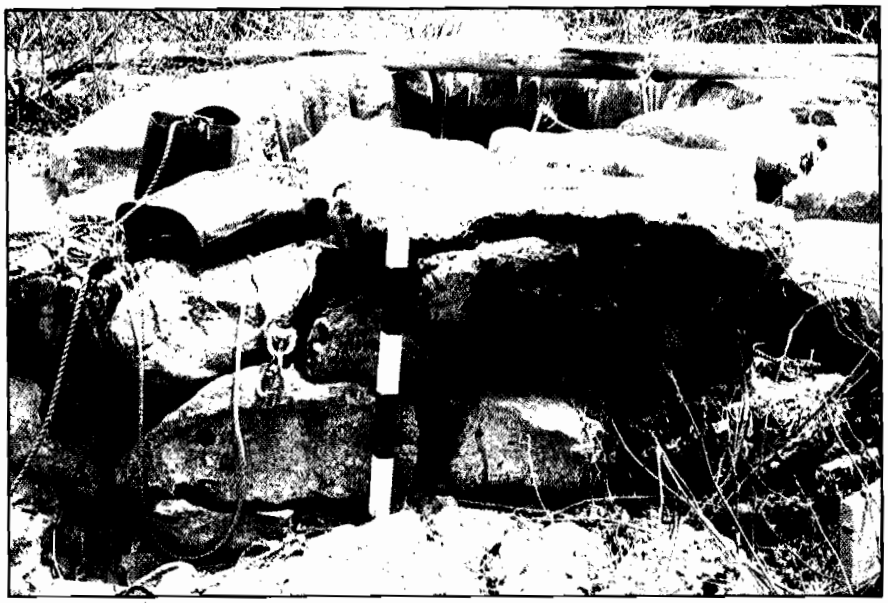

لوحة (١٠أ) منظر يمثل البئر الوحيد التي وجدت في الجزيرة، ويلاحظ في أعلاه دلو برشائة لمن يريد الحصول على الماء من زائري الجزيرة.

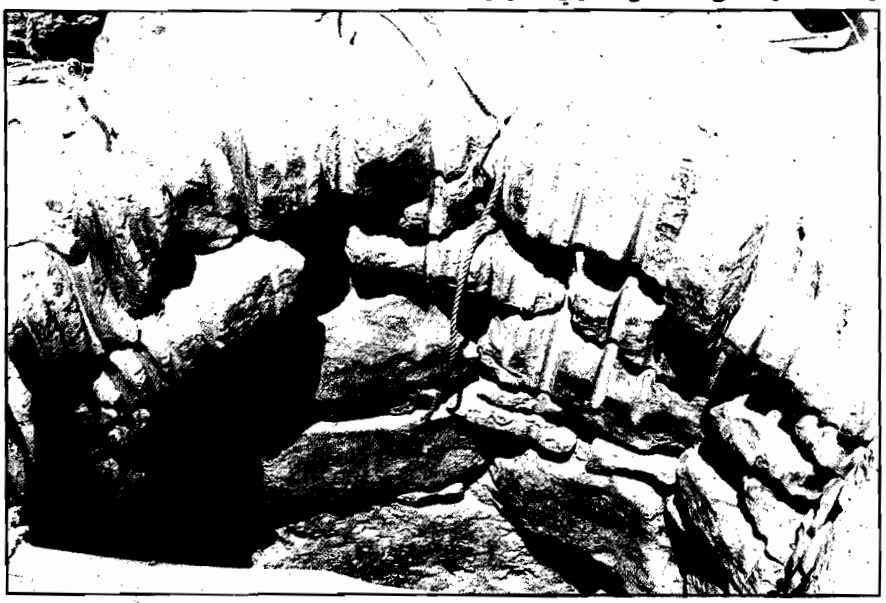

لوحة (١٠ب) صورة أخرى للبئر وتلاحظ خطوط غائرة أحدثتها الأرشية في الصخور التي بنيت بها مما يدل على طول الاستعمال.

لوحة (١١أ) تل سكني في جزيرة جبل الصبايا.

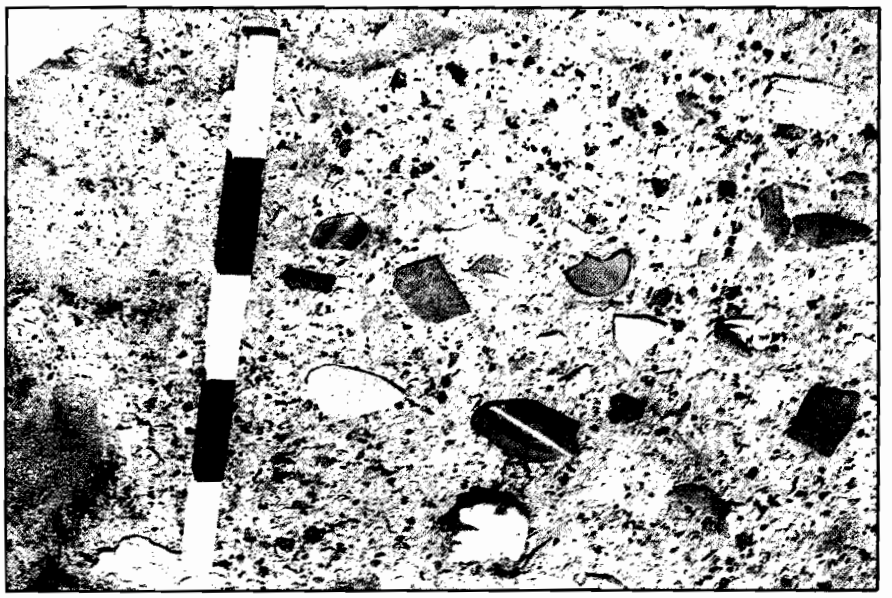

لوحة (١١ب) صورة مقربة أخذت من التل نفسه، ويلاحظ فيها بعض المخلفات من كسر الفخار والزجاج ونحوه.

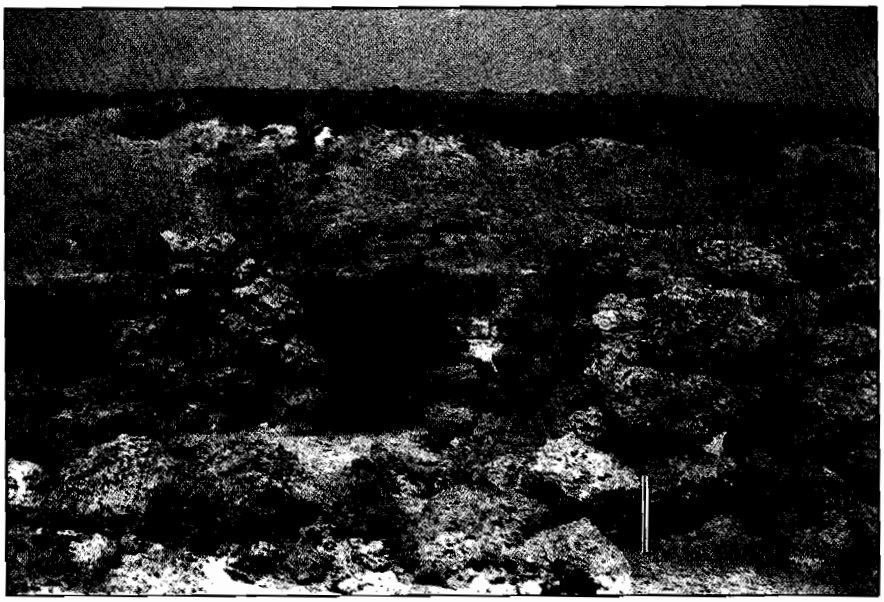

لوحة (١٢) بقايا جدران بعض الأبنية التي عثر عليها في الجزيرة.

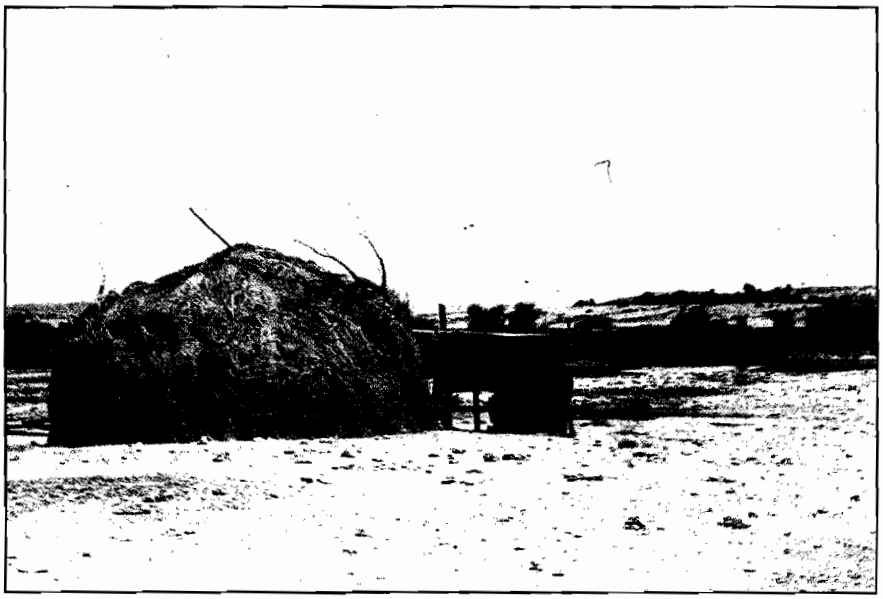

لوحة (١٣) صورة للعشة، البناء الوحيد الذي لا يزال قائما في الجزيرة.

لوحة (١٤أ) منظر لأحد الكهوف بالجزيرة.

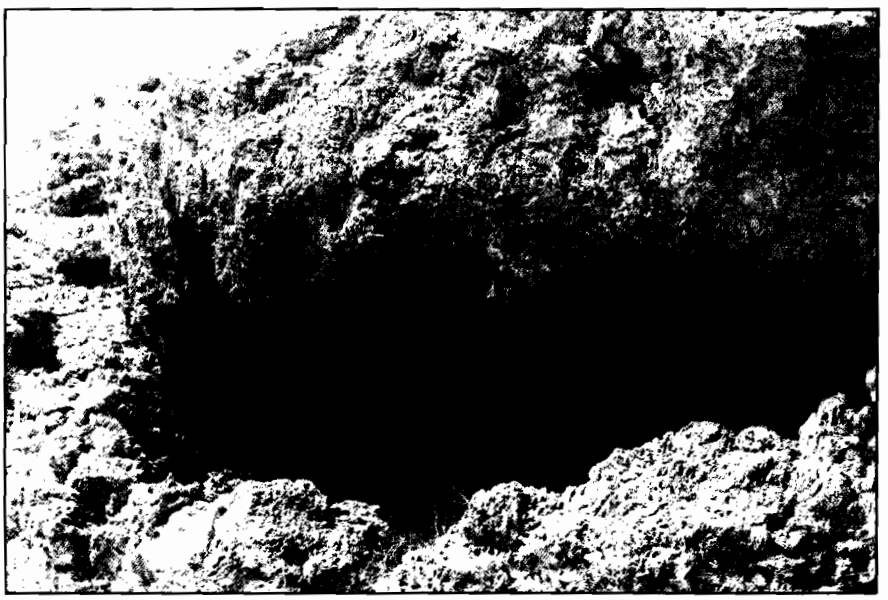

لوحة (١٤ب) منظر آخر لأحد الكهوف، وقد استفيد منه بالبناء على إحدى واجهاته، أما للسكن أو لأغراض أخرى.

لوحة (١٥) منظر لاحدى مقابر الجزيرة ويلاحظ في الصورة ارتفاع شواهد القبور.

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ٢٠٠ر٠٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على:ـ

- مجموعة من البحوث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون.
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة.
- ابواب ثابتة: تقارير وثائق ـ يوميات ـ بيبلوجرافيا.
- ملخصات للبحوث باللغة الانجليزية.

منشورات المجلة

اضطلعت المجلة باصدار عدد من سلاسل الكتب هي:ـ

اولا: سلسلة المنشورات، وقد صدر منها حتى الان سبعة عشر منشورا احدثها:

- الاتجاهات الحديثة في محاسبة النفط والغاز، د. صادق البسام
- الصحافة اليمنية قبل ثورة ١٩٦٢، علوي عبدالله طاهر

ثانياً: سلسلة الاصدارات الخاصة، وصدر منها حتى الآن خمسة عشر إصداراً، من أحدثها:

- المرأة في النصوص والآثار، د. عبد العزيز صالح
- رأي المتدربين والمدربين في برامج تدريب المعلمين التي عقدتها وزارة التربية عام ٨٣/ ٨٤ بدولة الكويت، د. عبدالرحمن الأحمد

ثالثا: سلسلة كتب الوثائق، وقد صدر منها كتب الوثائق للاعوام: ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠.

الاشتراكات

ثمن العدد: ٤٠٠ كويتي أو ما يعادلها في الخارج.
الاشتراك للافراد: سنويا ديناران كويتيان أو ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)
الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية: سنويا ١٢ دينارا كويتيا أو ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي).

العنوان: جامعة الكويت ـ كلية الآداب ـ الشويخ ـ دولة الكويت
ص.ب: ١٧٠٧٣ ـ الخالدية ـ الكويت 72451
الهاتف: ٨١٦٨٠٧ ـ ٨١٦٧٩٩ ـ ٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

المجلة العربية للعلوم الانسانية

فصلية ، محكمة
تصدر عن جامعة الكويت

- تلبي رغبة الأكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الانسانية باللغتين العربية والانجليزية ، إضافة الى الأبواب الأخرى . . المناقشات . . مراجعات الكتب . . التقارير .
- تحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج ، من خلال المشاركة الفعالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات .
- صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١ .
- تصل إلى أيدي ما يزيد على عشرة آلاف قاريء .

الاشتراكات

في الكويت : ٣ دنانير للأفراد خصم ٥٠٪ للطلاب ، ١٤ ديناراً للمؤسسات .

في البلاد العربية : ٤ر٥ دينار كويتي للأفراد ، ١٦ ديناراً للمؤسسات .

في الدول الأجنبية : ٢٠ دولاراً للأفراد ، ٦٠ دولاراً للمؤسسات .

ترفق قيمة الاشتراكات مع قسيمة الاشتراك الموجودة داخل العدد .

المراسلات توجه الى رئيس التحرير : ص . ب : ٢٦٥٨٥ الصفاة ـ رمز بريدي 13126 الكويت
المقر : كلية الآداب ـ مبنى قسم اللغة الانجليزية ـ الشويخ ـ هاتف ٨١٧٦٨٩ ـ ٨١٥٤٥٣

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الابحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير: د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير: عبد الرحمن فايز الصرعي

. مسجلة بمارن للأكاديميين العرب.

. توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات

للمؤسسات: ١٢ ديناراً في الكويت.
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد: ٢ دينار في الكويت، ١ دينار للطلاب
٥,٢ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج: مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى رئيس التحرير على العنوان التالي:
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ / الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ تلكس ٢٢٦١٦

المجلة التربوية

تصدر عن كلية التربية - جامعة الكويت

فصلية ، تخصصية ، محكّمة

رئيس مجلس الإدارة
د. سعد جاسم الهاشل

رئيس التحرير
أ.د. فكري حسن ريان

تنشر البحوث التربوية ، ومراجعات الكتب التربوية الحديثة
ومحاضر الحوار التربوى ، والتقارير عن المؤتمرات التربوية

- ★ تقبل البحوث باللغتين العربية والانجليزية
- ★ تنشر لأساتذة التربية والمختصين فيها من مختلف الاقطار
- ★ تطلب قواعد النشر من رئيس التحرير
- ★ تقدم مكافأة رمزية للناشرين بها

الاشتراكات :

للأفراد فى الكويت	٢ د.ك	وللطلاب	١ د.ك
للأفراد فى الوطن العربى	٢ر٢ د.ك	وللطلاب	١ر١ د.ك
للأفراد فى الدول الأخرى	١٥ دولاراً أمريكياً بالبريد الجوى		
للهيئات والمؤسسات	١٢ د.ك وفى الخارج ٤٥ دولاراً أمريكياً		

توجه جميع المراسلات إلى :

رئيس التحرير - المجلة التربوية - ص.ب ١٣٢٨١ كيفان - الكويت

THE ANTIQUATED ISLAMIC SITES IN WADI HALI (3RD - 9TH/9TH - 15TH CENTURIES)

(Summary)

Tihāmah or the Red Sea coastal area comprises many Islamic sites which rich with their archaeological remains and civilizational heritage. Some of these sites are those which exist along the two sides of Wādī Halī and in its fertile delta. Halī is first known, in the available Arabic sources, beginning from the 2nd. half of the 3rd./9th century, as one station or more on the Yemeni pilgrim routes to Makkah. Hali is defined, at that period, as the Wadi itself or the provence, however, since the 2nd. half of the 4th/10th century there appeared in these sources the mention of the city of Hali b. Yaʿcqub, which is believed to be the central capital of the Wadi and the entire provence. This city was thus named after Ibn Yaʿcqub, who perhaps was one of the ancestors of its ruling family, or perhaps one of the distinguished personalities that played a major role in the city life.

This research is considered as a simple attempt to determine the location of the city of Halī b. Yaʿcqub, through reasoning of the factual materials collected from the minor references in the available Arabic sources and in some recent exploration works, besides a field visit to the ruins of the city, where this visit helped to determine its location and hence to present a detailed discription of this location and the archaeological remains it contains.

The search also covers other Islamic sites, which during this period, flourished side by side with the city of Halī b. Yaʿcqub, and of these sites are: Hali Seaport, which was formerly identified with the name ʿĀzib, and it is currently called al-Rudaynī, named after a man died and buried in this place, where his name became prevalent in this area later on; Qawz al-Shahid which was the seat of the ancient dynasty of Banū ʾl-Ṭawashī, it is located within the sovereignty of Banū Haram, rulers of Hali. A little further to the east is the site of Khurayyān, where there is located the biggest and most fortified strongholds in Wādī Ḥalī. The remnants of this fortifications are still apparent to date. Lastly there is the Island of Jabal al-Sabāyā - which belonged to Wādī Ḥalī in the past and even today. In this Island there located some antiquated Islamic ruins and abandoned cematries.

A field visit was made which covered all the Ḥalawī Islamic sites, subject of this research, where an archaeological survey of these sites was conducted, including the determination of their positions, the verification of their archaeological locations and presentation of detailed discription of them supported with a number of maps and illustrations.

The Author:

- Ahmad O. al-Zaylaʿī
Assistant Professor
History Department,
College of Arts,
King Saud University,
Riyad, Saudi Arabia.

- M. A. (Islamic History),
History Department,
Riyad University 1398/1978,

- Ph.D (Islamic History, Archaeology and
Epigraphy) Durham University, England, 1984.

Publications:

1- **Makkah and its Foreign Relations (301 - 487),** Riyad University, Riyad, 1401/1981).

2- **Al-Silah Wa-'l- Uddah Fi Tarikh Bandar Juddah** (Arabic text edited, translated and annotated) with Dr. Rex Smith, Durham University, England, 1984.

3- "The governor of al-Sirrayn, Rajih b. Qatadah, and his Role in the Yemeni - Egyptian Relations in Makkah", Vol. I, Part I, **Ages,** Mars Publishing House - London, Jumada I, 1406/Jan. 1986.

THIRTY-NINETH MONOGRAPH

THE ANTIQUATED ISLAMIC SITES IN WĀDĪ HALĪ

(3rd - 9th/9th - 15th CENTURIES)

Dr. Ahmad O. al-Zaylaʿī

History Dept. - King Saud University

Annals Of The Faculty Of Arts

Volume VII, 1986

ANNALS OF
THE FACULTY OF ARTS

Issued by the Faculty of Arts. Kuwait University

A REFEREED SCIENTIFIC PERIODICAL THAT PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS RELEVANT TO THE SCIENTIFIC CONCERNS OF THE VARIOUS DEPARTMENTS IN THE FACULTY OF ARTS.

Volume VII , 1986

ANNALS OF
THE FACULTY OF ARTS

Issued by the Faculty of Arts, Kuwait University

Dr. Ahmad O. al-Zayla'i

History Dept. - King Saud University

THE ANTIQUATED ISLAMIC SITES IN WADI HALI

(3rd - 9th/9th - 15th CENTURIES)

THIRTY-NINETH MONOGRAPH

Volume VII, 1986